غرائزنا اليوم !

●

في ظل عصرنا المادي الحاضر الذي تطغو فيه الحضارة الصناعية ، يقل الجهد المبذول للحصول على ما يكفل مجرد العيش كما تتلاشى حرية الفرد في علاقته مع الجماعة. ومن هنا كان السبب في ان بعض الغرائز او الطبائع الفردية — كالميل نحو الفنون الجميلة وحب الاستطلاع والكشف عن المجهول تتلاشى في الافراد لتنمو على انقاضها طبائع وغرائز اجتماعية كحب الحرب والتنظيم الصحي والتعليم الاولي ومبدأ التعاون في بعض الامور .

وبتلاشي الطبائع الفردية تنحط الى حد كبير الشخصية الانسانية. ففي بلاد كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، قلما ينظر الى التنوع في الاشياء والمظاهر عموماً او الاختلافات بين فرد وآخر بشيء من العناية او الارتياح. فالفروق التي هي حدود لمعالم واضحة بين الافراد او الاشياء ليست عندهم بذات اهمية ان لم نقل انها احياناً ما تكون مكروهة. فالمنازل والملابس وادوات المنزل كلها من طراز واحد صُنعت في معامل تخرجها بالملايين. ولا ينظر الى الآدميين ان يكونوا على غرار مخالف لتلك الاشياء التي صنعت من طراز واحد بل تتراءى لهم مادة صبت في قوالب واحدة. وقوالب الآدميين هذه صفة ظاهرة في النظام الشيوعي او هي حقيقة قائمة .

في هذا الوسط تموت غرائز الفنون وحب الاستطلاع لان هذه الغرائز مميزات واضحة لشخصيات الانسان وكفاءاته. وقد ادرك ولاة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي هذا الامر فحاولوا ان يخففوا من اثر نتائجه وعواقبه بان جعلوا للفنانين والادباء والمخترعين امتيازات خاصة ومكافآت لا حد لها .

واختفاء الغرائز التي تبعث على تطلب الجمال وحب الاستطلاع عن المجهول انما تخلق في الناس ميولا مريضة. وتختفي هذه الغرائز غالباً في الافراد الذين حرموا القدرة على ارضائها . ومن هنا كان حب الناس للحوادث المثيرة كحوادث القتل واخبار الفضائح والطلاق والتهويل وما اليها . فنجد اليوم الصحف والمجلات التي تنشر هذا النوع من الاخبار والمقالات المثيرة مقروءة ومطلوبة اكثر من غيرها لانها تدخل على نفوس اناس بلغوا من فرط الحرص على اسباب معائشهم وكسبهم — اي استحكمت فيهم النزعة المادية — الى حد الذلة والاستكانة وماتت في نفوسهم كل عاطفة قوية سامية فلم يبق لهم الا ارضاء مخيلاتهم — التي بلغت حداً كبيراً من الارتباك والانحطاط — ، لانها تذكي في نفوسهم خيالات تهتز لها افئدتهم وتثير شعورهم وتنقذهم من ملل العيشة في المكاتب والعمل في المصانع او السعي المركز المتواصل وراء الربح الكثير. وترى ايضاً ، للسبب نفسه ، في الاوساط العائلية رواج « العاب الورق » والتحدث بأسرار الغير وبوار حلقات المسامرة البريئة والاحاديث الطلية الشيقة كأن الناس قد اصيبوا بعقم في الحديث وتلف في حسن المحاضرة.

والخلاصة ان هذا العصر المادي قد أفقد الانسان كثيراً من غرائزه الفردية الممتازة وبعث في النفوس نزعة جامحة للكسب تعدّت مطاليبه وغايته من هذه الحياة مما اورثه الطمع وارتكاب اعمال العنف والعدوان — كالثورات والعصيان في الامة الواحدة وقيام حروب طاحنة بين امم عديدة — لان حب التهييج والتهور والخروج عن المألوف يكون امراً محتوماً لا مفر منه في اناس حبست خير عواطفهم وقتلت في نفوسهم أنبل الغرائز . . .

امين ابو عز الدين

صور ادبية

« سمرست موم » W. Somerst Maugham

بقلم سعد جمعة

●

« سمرست موم » أحب كتاب القصة المعاصرين الى قلوب القراء عامة وخاصة، يستوي في الانجذاب اليه — كما قال احد نقاده — قراء « تولستوي » من المستنيرين ، مع قراء « رفائيل سابا تيني » من الغوغاء ! ذلك لانه يمزج الاصالة والالفة ، وعمق الفكرة ، والتشويق المثير ، مزجاً لاذاً مسكراً .

وقد ذاعت كتبه في اعقاب الحرب الاخيرة ، ذيوعاً غامراً ، مرده الى واقعيتها الصارمة ، ونظرتها القاتمة الى الدنيا والناس ، في سجاجة وسماحة واتزان . وبالرغم من بلوغه الآن الخامسة والسبعين من عمره الخصب . فانه يعد قراءه مزيداً من النشاط الفني ، ويعد مشروعاً ضخماً من الانتاج الادبي لخمس سنوات تلين .

لفن « موم » في القصة والرواية والمسرحية ؛ خصائص جلية الدلالة ، بادية التميز . مذهبه المتفرد ينبع من نشأة طيبة ، طبعت بطابع الوضوح والقصد ، الى واقعية جنحت بمشاعره الى التشاؤم وانتهت بعقله المتزمت الى سوء الظن في كل شيء . وزاد في تنمية هذا الاتجاه ، مركب النقص الناجم عن عاهة مستديمة في قدمه ، حتى اصبح من اشد الادباء المعاصرين شغفاً بالكشف عما في الطبيعة البشرية من شرور وآثام ، مصدرها بواعث لا تشرف !

وواقعيته طبيعية . تهتم بحقائق الحياة العضوية وتطورها، وتستقي مادتها من خلاصة تجاريب علم النفس الحديث، الذي يسلط الغرائز على العمل ، ويرد نشاط تلك الغرائز الغامض الى متاهات النفس، ومجاهل العقل الباطن .

ولهذه وتلك ، يأخذ عليه نقاده ، اكثر شيء ، قسوته البالغة في تناول شخصياته وتحليل رغباتها المكبوتة ، ويرد هو على ذلك قائلا : « ان دراسة الطب فتحت امامه افقاً من المعرفة العلمية السليمة ، فعرف الانسان في اوج عظمته ! كما عرفه في درك ذله ، واصبح للقيم الانسانية في نظره معنى آخر يخالف ما تآلف عليه الآخرون . حتى الالم الرفيع ، هو اشرف تلك القيم وامامها مظهراً للكمال العاطفي، لا يرى هو فيه الا انفعالا عادياً ، يبعث في النفس الانانية والحقد والشكوك السود ! ويجعلها تستغرق في حدودها الضيقة ، فتسفب بالمضمون الانساني، فالشيء الجدير بالاعتبار في رأيه هو — دائماً — ترقب الشر ، لا تأمل الخير ! !

هذا الشك في الطبيعة البشرية ؛ جعله انطوائياً ، يفر من المجتمعات ويكره مصاحبة الناس حتى زملاؤه الادباء ، قامت علاقته بهم على الحذر والجفوة اكثر مما قامت على الود وحسن المعاشرة ، من ذلك انه اتهم حين اصدر كتابه «Cake and Ale» بالتعريض بالاديب الانكليزي الوقور « توماس هاردي» فلم يستطع دفع التهمة برغم ما تمحّل من معاذير .

ومع ذلك ، فقد كان يرى في تلك الطبيعة المريبة ، شيئاً حتمياً جبرياً ، لا مفر منه ، فهو مع تسقطه للنقائص حريص على الاعذار ، ما دامت الارادة ليست حرة في الاختيار على اي حال . وقاده عرفانه بشرف عقله وذله معاً ، الى الثقة بنفسه ، ثم الى يقينه بعدم جدوى ايمانه وان كان من مظاهر حقيقته أن ينتج ، كما ان من مظاهر حقيقة النهر ان يسيل .

آمن أكثر شيء ، باتجاهه الغريزي ، فلم يهتم بالآخرين ، ولم

يكتب لاقناعهم . لا يعنيه الاقناع بقدر ما يعنيه ارضاء نفسه ، وتحقيق ذاته . لانه عند نفسه اعظم مخلوق ، برغم اعتقاده بان وجوده وعدمه ليسا شيئاً بالنسبة للمطلق ، وان الخلود شيء مقيس بعدد محدود من السنين ، ثم يلف النسيان كل شيء .

وآمن بأنه لا ينبغي له ، كما لا ينبغي لاي كان ، ان ينصب نفسه موجهاً ناصحاً ، فليس هو سادن الفضيلة المفضل ، ولا هو القيم على تصرفات الآخرين . الجبرية العمياء هي التي تتحكم في المصائر ، فليقنعه اذن ، ان يراقب ويسجل ، لا ان يعظ ويهدي ، خاصة بعد ان قادته تجاربه النفسية الى الاعتقاد بان مسافة الخلف بين طرفي اي خلق ، ليست من الاتساع بحيث صور الاخلاقيون !

وليس من كان هذا شأنه محتاجاً تصديقك . انه لا يلي اعتقاداً خاصاً ، بل يسجل احداثاً خاصة . واذا الحفت للتعرف الى اعتقاده اليقيني الجازم ، قال لك بلهجته الساخرة العنيفة : « انني اثق في حقيقة واحدة ، هي قلة ما اثق فيه » . فلحنه الاصيل الحياء لا الخيلاء ، وتلك مزية نفس غنية قابلة ، تنطوي على الكثير الغالي .

اعانه تفاعله مع المرضى في مستهل شبابه ، بعدد لا ينضب من التجارب النفسية والفزيولوجية . فبدت له الطبيعة البشرية في عريها الكامل ، تحمل عبء ضعفها الابدي ، فهانت عليه الدنيا ، وجسمت له هذا الهوان موهبة السخر « Humour » التي تلاقيك في جميع اعماله ، وهو نفسه لم ينكر ان الاستهانة بالدنيا قمينة بان تدفعك الى القسوة في عرض افكارك ، والحكم على التصرفات والبحث عن دوافع السوء الخفية ، الكامنة وراء مظاهر الطيبة الخادعة . فالساخر مضطر الى البحث عن هذه المفارقات ، حتى اذا لم يجدها مبذولة انشأها انشاء . وهو محمول على تجاهل دواعي الجمال والخير والحق لانها لا تصلح موضوعاً لسخرية . وعينه سريعة التدسس الى مواضع النقص ، لا مواضع الكمال . ومع كل ذلك فالسخرية بمعناها الرفيع شيء مختلف جداً عن الفكاهة النازلة والهزء الرخيص ، لانها تقوم على عرض المتناقضات والسخافات عرضاً مجرداً ، لا على التشفي الحاقد والقذف البذيء . . الساخر مهما قسا ، يحمل بين جنبيه قلباً شفيقاً ، وكل ما يصنعه ان يهز كتفيه هزة رحيمة مصحوبة ببسمة او حسرة ، ثم يمضي دون ان يحمل ضغناً . انه لا يهدف الى افتعال التوقر ومنح القيم الخلقية ، بل هدفه ان يفكر ويحسن التأمل ، واذا وصل المرء العارف الى هذا المستوى ، غفر وسامح وان بدا لك انه عنف وجار !

بهذا نستطيع ان ندرك كنه هذه الروح المبدعة التي تملك بالرغم من تعقيدها ، معيناً ثراً من الوضوح والانسياب ! وبهذا ايضاً نستطيع ان نفهم اشمئزاز « موم » من متخلفي الكتاب الذين يحسبون الكمال الفني في خلق شخصيات سوية الخلق والتفكير ، متسمة بخلاصة المعاني المتكلفة ، لان السوي الكامل في رأيه مخلوق اسطوري لا وجود له في العالم الخارجي ، فتحري الصدق يوجب على الاديب ان يتناول شخصياته على حقيقتها الماثلة بجمالها وقبحها وقوتها وضعفها ، وعظمتها وذلها !.

ومن كان هذا شأنه لا يؤمن بالموهبة النادرة والعبقرية الفذة ، بل يؤمن ان حرفة الادب شيء مجتلب مكتسب ، هي قضية طاقة وصبر لا اكثر ولا اقل . وهو يقول في تواضع اليف : « انني لانظر الى نفسي فلا اجد لي مزية واحدة تجعلني على عرش فريد . كل ما اعتز به هو جلد على امعان التفكير وادمان التأمل ، ومصاحبة القلق حتى يصبح هذا القلق مصدر لذة خالقة ، تبدع آياتها لتحرير ذاتها وخلاص نفسها قبل كل شيء . فظن المتأدبين ان قراءة بضعة مؤلفات لكتاب معاصرين تكفي لتكوينهم الادبي ، خطأ محض . الكاتب الذي لا يجد نفسه لا يستحق صنعة الاديب . وتجديد النفس يكون بالاطلاع الدائب على المعارف القديمة في مجاليها الفنية حتى يصبح التأثر والاستجابة ، والرغبة في الخلق ، سجية وسليقة » .

ورأي « موم » في مهمة الادب ، من ثم ، رأي واضح لا لبس فيه . ان قيمة الفن عنده ليست في الحذر العقلي والانزواء العاطفي ، بل في مواجهة حقائق الحياة المرة بطاقة ملينة . قيمة الفن ليست في اللذة الجمالية المترفة ، بل في علم الحق وعمل الحق ، حيث تغنى الروح وتعمق الحياة . غاية الفن كغاية الفلسفة ، هذه تبحث عن الفضيلة والفن يجملها ليستطاع تميزها واعتناقها ومحبتها . والفرق بينها ان الفنان يبدو وكأنه غير معني بالنتائج الخلقية ، فيكون وحيه تلقائياً عفوياً عن ارادة حرة لا تخضع لناموس مفروض ، بل هي تصنع الناموس . .

ايثار الحق والخير ، اذن ، دون رضوخ لمبدأ مقرر هو غاية الفن اطلاقاً . ايثار مجرد لا يجذب نفعاً ولا يطلب تعالياً . جزاؤه فضيلته وجدواه في ايحائه الايجابي الذي يتجلى في العمل لا في اللذة بالغة ما بلغت روحانية تلك اللذة !

« فسمرست موم » مثل حي لما يجب ان يكون عليه الاديب رحابة افق وشمول نظر ، وعمق ثقافة . مصدر عمقه ، اطلاعه الوثيق على المذاهب الفلسفية المختلفة . اضناه ما اضنى غيره التفكير المضني في حل أحاجي الكون ، سعى في اثر فلاسفة ما وراء الطبيعة حتى اتعبه الركض في متاهاتهم ، ثم انجذب الى المثالية فالواقعية ، دون

طيف

●

رويدك يا يقظة الشاعر ... زحمتِ المنى البيض في خاطري
وهجتِ دفيناً من الذكريات ... بقلبي وجسدت لي غابري
عرضت لأيامي الخاليات ... فأنكرت من بعدها حاضري
فأين انفلاتة طيب الحياة ... وأين جمال الصبا الناضر
واين الشباب المجد الطموح ... وثوباً الى الهدف الآخر

***

هويتك يا طيف ـ لا كان يومي ـ ... وعشت بإيحائك الطاهر
وعدت كأني أسير الليالي ... أسير المدامة والسامر
اسير هوى، لجّ في قلبه ... حنينٌ الى أمسه الزاخر
فهل انت يا طيف طيف الحبيب ؟.. يلوح على البعد في ناظري ؟..
وهل جئت توقظ في الصدر ... بعض الحنين لعهد الهوى الباكر
وهلّا ذكرت لنا جلسة ... بواديك بين الشذا العاطر
ويوم أتيتُ الرياض افتش ... في الورد، في البرعم الزاهر
عرفتك في هينات الربيع ... وفي خطرات الصبا العابر
وهذي دروب الهوى أقفرت ... وأضحت حراماً على السائر
فأين مكانك بين الورود ... وأين رسوم الهوى الدائر
وأين الطريق ؟ لقد أنكرتني ... فعدت وبي غصص الحائر

***

سألتك يا طيف ان تنثني ... جرحت فؤاد الفتى الشاعر

زحلة - لبنان ... جوزيف جحا

ان ينعم براحة.. ثم استقر أمداً عند فلسفة « البرجماتزم » ثم عرف « بيرجسون » فاعجب بمذهبه الجليل في تغليب « البصيرة Intuition » على كل ما عداها. واخيراً جذبه « برتراند رسل » بسهولته ونصاعة عرضه. وقرأ « كانت » فسرته احجياته وان لم يستطع ان يدرك ادراكاً واعياً، هذا الذي سماه « الشيء في ذاته » وكل ما حوله يهيب به الى الرضا بالمظهر المقسوم. لكنه استروح الصفاء اكثر شيء من المذهب الاخلاقي لهذا العملاق، في ان يعمل المرء ما يريد ان يكون قانوناً عاماً لكل عمل، يخلى من عالم المناسبات والاوضاع. ولقد منحته هذه الدراسات المنسرحة قلقه الروحي ولا أباليته الرزينة وبدا اثر ذلك واضحاً في جملة كتبه وخاصة في: «The Razer's Edge - of Human Bondage »

اما اسلوب « موم » فهو اسلوب مغر بالسلالة والانسياب في لغة اليفة واضحة كافكاره. مادة التشويق تترقرق في ثناياها كالنور الدافىء والسحر الموحي. وهو يثلب الكتاب الذي يتطلبون من قرائهم مجهوداً لفهمهم. فاللغة في يد الاديب يجب ان تكون أداة طيعة للتعبير بيسر حتى عن اعوص القضايا الفلسفية وأرقها. فما جدوى التفاصح بالغريب اذن، وتعقيد خواطر الروح تعقيداً لفظياً يفسد جمالها الساذج، ويذهب بألقها الفريد؟ وفي يقينه ان الغموض مرده إما الى كسل الكاتب وإما إلى جهله، حين لا يدرك هو نفسه ما يقول، ادراكاً بصيراً، وليست في عقله فكرة واضحة عنه.

هذا تعريف سريع بمميزات هذا القصاص الفذ ومقومات فنه راجياً ان تتاح لي فرصة أخرى للتحدث عن رأيه النفيس في المسرحية. فالى لقاء قريب..

عمان ... سعد جمعة

النوم والارق

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

●

جاء في اول تقرير نشره العالمان الاميركيان لايرو ومولز ان من اقدم الحقائق المعروفة عن النوم ان النائم يكون اشد اغراقاً في النوم في الساعة الاولى منه في اية ساعة تالية، وان الصوت الذي يكفي لايقاظه في الساعة الثانية لا يوقظه في الساعة الاولى، وقد حدت هذه الحقيقة بالكثيرين الى الزعم بان نوم ساعة واحدة قبل نصف الليل يعادله نوم ساعتين بعد نصف الليل ؛ وهو زعم خطأ، فقد اثبت الاختبار انه وان يكن نوم الانسان (ثقيلاً) في الساعة الاولى ، فان عضلات الجسم تكون اشد استرخاء في الساعة الثانية والساعات التي تليها . وهذا الاسترخاء ،هو دليل على انخفاض نشاط الجسم الى الحد الادنى ، وهو شرط لازم للنوم الهنيء . وفي الواقع ان حالة النوم او نوعه اهم بكثير من مدته،فقد يستفيد الانسان من نوم اربع ساعات (اذا كان النوم هنيئاً) اكثر مما يستفيده من نوم تسع ساعات نوماً غير هادىء .

تأثير الرياضة والحالة النفسية

اثبت البحث ان القيام بالرياضة البدنية قبل النوم يبعد النعاس ويجعل النوم متقطعاً .وعند اليقظة في الصباح يشعر الانسان باستيلاء النعاس على اجفانه بعكس الاجهاد الفكري قبيل النوم فانه لا يؤدي الى شيء من النتائج المذكورة وفي الواقع انه كلما كانت حالة الانسان النفسية اقرب الى الهدوء . عندما يأوي الى سريره كان نومه اقرب الى الهناء . ولذلك ترى الذي يأوون الى الفراش وهم يتوقعون سوءاً في اليوم التالي لا ينامون نوماً هنيئاً .

تأثير الجوع والغذاء .

وقد اثبت البحث ان من اهم اسباب الارق عند البالغين ثلاثة (١) تناول غداء غير ملائم للمعدة (٢) تناول كمية غير كافية من الطعام (٣) عسر الهضم .وكل واحد من هذه الاسباب تكفي لاحداث الارق وحرمان الانسان النوم الهنيء .ولا يخفى ان معدة الانسان تهضم الطعام وتصبح بعد نحو اربع ساعات من تناوله فارغة . فاذا فرضنا انه تعشى في الساعة السابعة مساء فان معدته تصبح فارغة حوالي الساعة الحادية عشرة،فاذا اعتاد تناول الطعام في الساعة الثامنة صباحاً كان معنى ذلك ان معدته تظل فارغة تسع ساعات متوالية وهذا يسبب له الارق . واذا فرضنا انه استطاع ان ينام ولو نوماً متقطعاً فانه يشعر في صباح اليوم التالي بخمول عظيم ويظل النعاس مستولياً عليه طول النهار وبعكس ذلك اذا تناول عشاء في الليل متأخراً وهضمه هضماً جيداً او شرب قبيل ايوائه الى السرير مشروباً حلواً دافئاً فانه ينام نوماً هنيئاً . واذا استثنينا بعض اصحاب المزاج العصبي فان تناول الشاي والقهوة مع العشاء لا يسبب ارقاً كما يتوهم الكثيرون . والارجح ان الارق الذي يصاب به احياناً من يتناول شيئاً من المنبهات هو ناشيء عن سبب آخر كافراط في الحركة واللهو في السهرة قبل النوم . فاذا كان هذا هو سبب الارق فان الحمام الساخن كفيل بازالته .

الصوت والنور

لقد اثبتت التجارب انه ما من صوت يحدث بقرب النائم مهما يكن خفيفاً الا ويؤثر في عضلاته بعض التأثير ويكاد يوقظه . والذي ينام على مقربة من خطوط السكك الحديدية لا يمكن ان ينام النوم الهني . وان هو اعتاد صخب المركبات وسواء أيقظته تلك الضجة ام لم توقظه .

وكذلك النور فان اشعته تؤثر في النوم وقد تذهب بهوتدل

التجارب على ان ومضة نور تمر بجو غرفة النائم سريعاً تؤثر فيه وتقلقه وان هو لم يشعر بذلك شعوراً جلياً .

واغرب من ذلك تأثير لون الغرفة في النائم فقد ثبت ان للالوان علاقة كبيرة بنوع النوم ودرجة هنائه . فاذا كان اللون الغالب في الغرفة مائلاً الى الخضرة او الزرقة كان النوم هنيئاً وان كان اسود او لوناً من الالوان الفاتحة فان تأثيره يكون عكس ذلك .

الثياب ووضع الجسم

وللثياب ايضاً علاقة بالنوم . فبعضها يعوق استرخاء العضلات ، وبعضها لا يحول دون ذلك . وتدل التجارب على ان الذي ينام عارياً من الثياب يتمتع بنوم هنيء جداً ولكن لا تأثير لوضع الجسم على السرير او لكيفية الاضطجاع فان الجسم يتغلب من وضع الى وضع كل خمس عشرة دقيقة تقريباً والطبيعة تهديه الى الوضع الذي يلائمه . فترى النائم تارة مستلقياً على ظهره ، وطوراً على بطنه ، واخرى على احد جنبيه وقلما يثبت على وضع واحد اكثر من ربع ساعة او ما يقرب من ذلك . على ان النوم على البطن او على الجنب الايسر قد يكون اقل نفعاً من الاستلقاء على الظهر او على الجنب الايمن .

الاحلام والغذاء

الارجح ان الاحلام لا تؤثر في النوم كثيراً الا ان بعض الناس يهبون احياناً مذعورين من حلم مزعج وتدل البحوث العلمية الاخيرة على ان الاحلام المزعجة تكثر على اثر نهار يقضيه الانسان في حالة لا تدعو الى الارتياح فكرياً وقد ثبت ان تناول الطعام المغذي يعوض للجسم بعض القوة التي يحرمه اياها الارق . اي ان الذي يصاب بالارق في ليلة قد يستطيع ان يحصل ، بواسطة الغذاء على القوة التي كان ينتظرها من النوم الى حد ما . ويؤخذ من الاختبار ان الاكثار من اكل السكر او المواد السكرية يوازي نوم ساعة او ساعتين . واذا اكل الانسان المواد البانية للعضل فان هذه المواد تنقص ساعات النوم التي يحتاج اليها الجسم لتجديد قواه بمتوسط نحو ساعتين في كل ليلة . واذا سهر الانسان ثم شعر بالنعاس فليتناول شيئاً من الحلوى فانها تعوضه عما فاته من النوم . واذا استيقظ باكراً في الصباح لداع من الدواعي وهو يشعر بانه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم فانه يستطيع ان يعتاض عن ذلك القسط بوجبة تكثر فيها مادة الكربوهيدرات (اي السكر) ، وفي الواقع ان تناول الحلوى في آخر السهرة مما يعوض على الانسان ما يفوته من النوم .

ولمادة الكالسيوم ايضاً تأثير نافع . وهذه المادة تؤخذ عادة مع اللبن فاذا نقصت من الغذاء كان النوم مضطرباً متقطعاً .

الانفعالات والنعاس

مما لا شك فيه ان لكل شيء يثير فينا الانفعالات النفسانية تأثيراً في النوم . فالذي يقضي يومه في اضطراب او انفعال نفساني او في عمل يستغرق كل الافكار والقوى ينام في الليل عادة نوماً متقطعاً . بخلاف الاعمال التي تنهك القوى الجسمية فقط فانها مجلبة للنوم الهنيء الهادىء .

وقد ثبت بالاختبار ان القراءة قبيل النوم مجلبة للنعاس والخوف من الارق مجلبة للارق . ولعل خير وسيلة لمحاربة الارق هي مطالعة كتاب ممتع قبل النوم . وقد جرب الاطباء هذه الوسيلة فأسفرت عن نجاح عظيم .

قد يستطيع الانسان الانقطاع عن الغذاء عدة ايام واسابيع ولكنه لا يستطيع الانقطاع عن النوم اسبوعاً واحداً فان ذلك يورده الهلاك . ومتى جاوز الانسان سن الخامسة والثلاثين اصبح اقل حاجة الى النوم واصبح الخطر من تقصير ساعات النوم اقل .

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن



السحب المقبل لليانصيب الوطني يوم السبت ٣ ايلول سنة ١٩٤٩ الساعة ١١ صباحاً في قاعة سينما امبير — اشتروا اوراقكم — الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل. ل

مصرع الدوقة دوبراسلان

بقلم قدري قلعجي

في القضايا الجنائية ، وان بدت أحياناً قضايا عادية بسيطة أو قضايا فردية ضيقة النطاق، دروس وعبر كثيرة ، تلقي عند معرفة الظروف التي أحاطت بها والشخصيات التي اشتركت فيها،نوراً قوياً على المجتمع الذي اقترفت فيه ، وعلى مدى الاثر الذي تتركه الانظمة الاجتماعية السائدة في مرحلة من مراحل التطور التاريخي،في علاقات الناس بعضهم ببعض وفي حياتهم الفردية وأخلاقهم الشخصية نفسها . ذلك مثلاً شأن هذه المأساة العائلية التي أثارت الطبقة الباريسية العليا منذ قرن كامل :

في التاسع عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٨٢٤، عقد الاب فوتريه في كنيسة مجلس الشيوخ بقصر اللوكسمبورغ، للمركيز تيوبالد دو شوازول براسلان على آلاريس روزالبا سيباستياني ديل بورتا. وكان المركيز في العشرين من عمره ، وهو من أعرق الاسر الفرنسية ، ومن أرفعها مقاماً ، ولم يكن على شيء من الجمال أو الذكاء ، وربما كان أميل الى القبح والغباء ، غير انه كان ذا قوة جسدية قد لا تبدو للوهلة الاولى لمن ينظر الى جسمه القصير النحيف ، ولكن سرعان ما تبدو لمن ينظر الى يديه القويتين الغليظتين. وهو سوداوي المزاج ثائر العصب سريع الحنق والغضب ، ولكنه يسيطر على أعصابه في المجتمعات العامة فلا يبدر منه ما ينم عن شراسة أو حدة .

أما العروس فكانت في ربيعها السابع عشر، وهي على نقيض زوجها في كل شيء . ماتت امها «فاني» وهي تضعها ، وكان ابوها الماريشال سيباستياني سفيراً في تركيا، فأرسلها الى فرنسا وهي في الثانية من عمرها لتعيش في كنف المرضعات والخدم، فنشأت مرهفة الحس رومانتيكية النزعة . وكانت يوم زفافها فتاة ممشوقة القامة ، سمراء ، ذات عينين سوداوين تتألقان ذكاء وتفيضان عاطفة .

أقام الزوجان الشابان في قصر سيباستياني الذي قدمته المرأة لزوجها كبائنة. وفي وسعنا القول بان حياتها الزوجية كانت سعيدة في أول عهدها ، أو أنها لم تكن تعيسة على الاقل ، غير ان فاني ، وهو الاسم الذي اطلقته على نفسها احياء لذكرى امها ، كانت ترزح شيئاً فشيئاً تحت عبء الحياة العائلية ، فقد أنجبت عشرة اطفال مات واحد منهم وبقي لها ست بنات وثلاثة صبيان ، وترك الحمل المتعاقب آثاره في صحتها فذوت نضارتها وترهل جسمها . .

وكانت علاقة المركيز بزوجته تضعف كلما ازدادت اعباؤها العائلية حتى انقطعت تماماً . ولم يقتصر على ذلك ، بل أخذ يفكر في حرمانها من تربية اطفالها ، لانه كان فولتيري النزعة ، وكانت مؤمنة تقية ، ولم يكن يسره تنشئة اولاده على عقائدها .

ولقد فكر في الانفصال عنها، ويبدو انها كانت تستعد لذلك لولا أن اباه قد توفي في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٤٠ فاصبح دوقاً وعضواً في مجلس الشيوخ، وورث قصر فو الكبير، ووجد أن هذا القصر الذي أهمله ابوه في حاجة الى عناية كبيرة لا ينهض بها ماله وحده ، ولا بد من أن يستعين من أجل ذلك بمال زوجته ، كما يستعين بنفوذ ابيها لتوطيد مركزه . فأقلع عن فكرة الانفصال ، وبقيت فاني في القصر امرأة مهملة تنفق وقتها في عمل الخير، وتغدق حبها وحنانها على الفقراء والبائسين، حتى سماها معارفها : القديسة دو براسلان ، فكان هذا اللقب خير تعزية لها .

الدوق دوبراسلان



انقضت سبع عشرة سنة على زواج فاني، بلغت في نهايتها سن الرابعة والثلاثين..

وفي هذه السنة من حياتها ؛ وهي سنة ١٨٤١، ظهرت المرأة التي اختارها القدر لتسقي تلك القديسة كأس العذاب حتى ثمالتها.

كانت تدعى هنرييت دبلوزي. وكانت حينذاك في السادسة والعشرين من عمرها، وهي جميلة، شقراء، ذات شعر معقود على الطريقة الانكليزية ومسترسل على كتفيها. ووراء هذه الطلعة الساحرة تكمن ارادة فولاذية يدعمها ذكاء حاد وثقافة واسعة.

ان جميع هذه الصفات كانت تؤهل هنرييت لان تكون مربية ممتازة. ولكن الجو الذي جاءت لتعيش فيه لم يكن جواً عادياً نقياً، وكان حرياً بان تتحول فيه كل فضيلة الى نقيصة. وقد سبق هذه المرأة الشابة في اداء مهمتها بضع آنسات اخفقن كلهن في عملهن وتخلين عنه من تلقاء انفسهن، او باشارة من رب المنزل او ربته، أو من كليهما على السواء. فهل في وسعها هي القيام بهذه المهمة الشاقة؟

في ليلة دخولها الى القصر، سلمها الدوق مذكرة سجل فيها المبادىء التي ينبغي لها التزامها في تربية اولاده، ومن هذه المبادىء اذا جاز التعبير، ان المربية وحدها هي التي تشرف على كل ما له علاقة بحياة الاولاد، وهي التي تعين الاشخاص الذين يجوز لهم معاشرتهم أو يجب عليهم تجنبهم، وعليها ان لا تسمح لامهم بزيارتهم في جناحهم أبداً، واذا اتفق ان مرض واحد منهم فيسمح لها بزيارة الولد المريض وحده، وعلى كل حال فانه لا يحق لها الاجتماع بالاولاد الا في حضور أبيهم او في حضور الممرضة.

وهكذا شعرت هنرييت منذ اللحظة الاولى بصعوبة مهمتها، وادركت من هذه التعليمات المفرطة في القسوة مدى الحقد الذي يكنه الدوق دو براسلان لزوجته.

***

ماذا يصنع هذا الرجل المغلق، المنطوي على ذاته، والذي هو في حاجة دائمة الى القيام بحركات عنيفة تقيم له البرهان على قوته وخطره، حتى انه كثيراً ما يحطم كل ما تقع عليه يداه لدى زوجته؟ ماذا يصنع هذا الرجل بين امرأتين تمتاز كل منها بالذكاء المتقد والعاطفة الملتهبة والخلق الصارم، ولكن شخصيتيهما تختلفان مع ذلك، فان احداهما سلبية والاخرى ايجابية؟! ماذا يصنع وهو في تلك السن التي يوسوس فيها الشيطان للرجال، مغرياً اياهم بان يعيشوا شباباً جديداً بعد شبابهم الذاوي؟

ضاقت هنرييت بما عرفت من عاطفة فاني وفيض مشاعرها، وبما



المارشال سباستياني

لمست من نزوات قلبها الجريح، وما ترك هذا الجرح في نفسها من عصبية وحدة. واعجبت بما بدا لها من هدوء الدوق ورصانته، دون أن تسبر غورهما وتعرف ما وراءهما، حتى كانت ترد ما يبدر منه أحياناً، من عنف، وهو طبع أصيل فيه، الى أسباب تتوهمها أو ذرائع تختلقها. ورأت انها واياه على اتفاق تام في تأييد المناهج التربوية الحديثة والاخذ بها، خلافاً للسيدة فاني التي كانت تعارضها معارضة شديدة.

ووجد الدوق في هنرييت المرأة التي يهوى، فزعم أنه يريد الاشراف بنفسه على تكوين قوى أولاده العقلية وهي اول تفتحها وتطلعها، واتخذ هذه الحجة ذريعة للسهر كل ليلة في جناح الاولاد بجانب هنرييت.. وجن جنون الدوقة ففقدت كبرياءها وكرامتها، وغدت تتجسس على زوجها، وتتضرع اليه وتبكي بين يديه، وتخاصم هنرييت وتصب عليها جام غضبها.. وتحولت الحياة في القصر الى جحيم لا يطاق، فهي خصومة مستمرة وشكاوى لا تنقطع ونحيب متصل... وكان يبدو للجميع كأن هذه المرأة الشقية هي مصدر هذا البلاء!

لم يكن لدى فاني دليل على ان الدوق وهنرييت كانا عشيقين، ولكن كان لديها الف دليل على ان زوجها تيوبالد لا يجد نفسه سعيداً الا حين يكون الى جانب هنرييت، وعلى أن وجودها هي كان عبئاً على الجميع، فهي مبعث ألم لهم وضيق لا مبعث هناء وارتياح..

وكانت تصرخ في عزلتها المخيفة: «لم يعد لي زوج ولا أولاد!» وتعكف ساعات طوالا على منضدتها تكتب الرسائل لزوجها،

او تدون خواطرها في مذكراتها ، وهي رسائل ومذكرات شائقة تصور وضعها أروع تصوير ، واليك بعض ما جاء فيها :

مطلع سنة ١٨٤١ — اني اقسم لك باني لن احاول ابداً ان يكون لي عليك أي سلطان. . ان كل ما اريده هو ان اشاطرك حياتك لاجملها واضع بلسماً على جراحك. لقد هجرت مخدعي لانك تخشى ان احاول بسط نفوذي عليك ، فيا صديقي ، اني اقسم لك بحبي ، اقسم لك بك ، وبكل مقدس غال ، اني لا انشد غير حبك وثقتك مثلما محضتك حبي وثقتي. . لسوف اكون طوع يديك ، فقدني كما تشاء ، ولن اعذبك بعد الآن بغيرتي. . ولن اسمح لنفسي بمعاتبتك او بتوجيه النصح اليك. .

لقد طردت زوجتك من سريرك ، ومن قلبك ، فهل هنالك معاملة أقسى تعامل بها لو كانت خائنة ؟

الرحمة يا تيوبالد ، الرحمة ، للمرأة التي تحبك !

كانون الثاني ١٨٤٢ — تيوبالد. . تيوبالد. . ألا يكفيك انتقاماً مني لغيرتي (وهي غيرة يبررها سلوكك) أن تهجرني ، وتحيا الحياة التي تمزق بها قلبي منذ وقت طويل ، والتي تدل جميع مظاهرها على خيانتك لي . . ؟ ألا يكفيك ذلك حتى تحرمني احترام اولادي لي وحنانهم وثقتهم ؟

لقد فقدت زوجي واولادي. . وانا على مقربة منهم ولكن لا يسمح لي بالاستمتاع بهم. وقد أصبحت عبئاً بغيضاً محتقراً. وليس في وسعي ، وفي قلبي مرارة هذه الآلام ، ان أبدو مرحة لعوباً ، الا اذا كنت ممثلة بارعة !

كانون الثاني ١٨٤٢ — لقد انتزعت مني أولادي لتعطيهم الى امرأة طائشة لا تكاد تعرفها ، ثم اعطيتها جميع الواجبات ، والمباهج ، والسلطات التي كانت لي. .

انك تحقد عليّ حينما اتكلم بمثل هذه المرارة عن الاشخاص الذين يسببون لي ألماً عظيماً. . واني لاحاسب نفسي على ذلك احياناً . . ولكن تلك صرخات ينتزعها الالم من قلبي انتزاعاً . .

أكتب لنا اذن بأن نقضي أعوامنا الاخيرة في الالم والعزلة ؟

لقد أحببتك دائماً يا تيوبالد ، ولم احب غيرك. وانا اتألم منك الآن ولكني لا ازال احبك. أردت ان اكون رفيقتك وصديقتك في جميع الظروف ، وان اشاطرك آلامك ومسراتك ومشاغلك جميعاً. هكذا كنت أفهم الزواج والحب والصداقة.

مئات الرسائل كتبتها فاني لزوجها شاكية ، متوسلة ، متضرعة ، ولم تكن هذه الرسائل الحارة الا لتزيد في غضب الزوج الحاقد وفي نقمته على زوجته الملحاح !

كان يأخذ عليها تقطيبها الدائم ، وشكاياتها المستمرة ، وبكاءها المتواصل ، ولم تكن لتستطيع ان تسلك غير هذا المسلك وقد حرمت زوجها وأولادها ، واحتلت مكانها في قلب هذا الزوج وهؤلاء الاولاد امرأة غريبة اغتصبت حقها في الحياة الزوجية السعيدة ، ووجدت لذة في السيطرة على مقدرات القصر الذي دخلته كامرأة عابرة فاصبحت تتصرف فيه مثلما تهوى.

***

استمرت الحياة في قصر الدوق دوبراسلان على هذه الوتيرة خمس سنوات اجتازت خلالها أنباء الخصومة المستمرة بين الزوج وزوجته والمنافسة الدنيئة بين الزوجة والمربية ، جدران القصر ، فتحدث بها الناس في كل مكان ، وبلغت البلاط نفسه .

واقترحت فاني في غمرة ألمها ويأسها ، ان تبتعد عن القصر وتعيش منسية في زاوية قصية من العالم ، ولكن الماريشال سيباستياني العجوز كان يرى ان هنرييت هي التي يجب ابعادها عن القصر ، وقد كتب الى صهره بصراحة الجندي الذي لا يعرف تمويه الحقيقة ، طالباً اقصاء المربية ، معلناً استعداده لان يدفع لها رواتبها طول المدة التي تعينها على ان تغادر فرنسا وتقيم في انكلترا .

كان ذلك في حزيران سنة ١٨٤٧ ، وكان الضغط يشتد على الدوق وعلى هنرييت ، وفي كل يوم يزور احدهما او كليهما الكاهن أو كاتب العدل ، ناصحاً او مهدداً او مقدماً عروضه .

وأخيراً استسلم الدوق ، او تظاهر بالاستسلام ، اذ ليس من يستطيع ادراك حقيقة عواطفه لشدة غموضها وتعقدها . . فأنشأ يفاوض هنرييت ، وظل يناقشها لاقناعها بوجهة نظره طوال يومين . . ثم قدمت استقالتها وهي تنتحب . .

ولكن هل كان ذلك قطيعة نهائية ؟

من الصعب الاعتقاد بذلك ما دامت هنرييت لم ترحل الى انكلترا حيث استؤجر لها منزل خاص ، بل أقامت في نزل بشارع هارلي بباريس. فماذا كانت تنتظر ؟

اما في قصر فو فكانت الدوقة تكابد عناء كبيراً في استعادة اولادها واكتساب محبتهم من جديد ، لتعلقهم بهنرييت وتلهفهم على سماع أخبارها وتلقي رسائلها ، وكانت المربية الذكية تعرف ذلك منهم فلم تنقطع يوماً عن الكتابة اليهم ، ويبدو ان تأثيرها عليهم كان عظيماً حتى انهم كانوا يغلقون الباب في وجه امهم كلما أرادت زيارتهم .

وكذلك كان الدوق يتلقى رسائل هنرييت فتفعل فيه فعل السحر ، ويتذرع بالحجج المختلفة للسفر الى باريس مرة ومرة، وزيارة المربية الحسناء في نزلها برفقة بعض أولاده.. ولم يخف ذلك على الدوقة دوبراسلان فاحتدم غضبها واعتزمت أمراً .. فما دامت هنرييت لا تريد الابتعاد فانها ستبتعد هي مع جميع افراد الاسرة وترحل بهم الى حمامات دييب.

وابلغت المرأة قرارها لزوجها، فثارت ثائرته ولكنه لم يستطع الرفض لانه لم يجد ذريعة يحتج بها ، وعبثاً حاول مصالحة زوجته واعادة الامور الى ما كانت عليه، فان الدوقة قد أصرت على الرحيل الى دييب ، فشخص الدوق الى باريس مرة اخرى ، واجتمع بهنرييت منفردين في عربة طافت بهما متنزهات العاصمة، وأخبرها بعزم الدوقة على السفر الى دييب ، واخبرته ان انباء مغامرتها قد تناهت الى النزل الذي تقيم فيه فأمرتها صاحبته بمغادرته الا اذا احضرت شهادة حسن السلوك موقعة من الدوقة براسلان !

وتولت الدوق حيرة عظيمة.. لقد كان عليه اما ان يخسر سعادته او يخسر شرفه.. وكان من العسير عليه ان يختار بينهما.. فلم يستطع الوصول الى حل مرض، وكان يتمنى لو ان المصادفة تنقذه، ثم يتساءل الا يمكن تهيئة المصادفة وتحضير الظروف التي تحيط بها ؟!

غادر هنرييت ومضى الى قصر سيباستياني بشارع فوبور سان هونوره ، ودخل الى غرفة زوجته الخالية ، وفكر طويلاً، ثم غادر القصر وانطلق الى فو فأعلن لزوجته موافقته على السفر الى دييب، واتفقوا جميعاً على ان تبدأ الرحلة في صباح السابع عشر من آب ، فتقضي الاسرة يوماً في باريس للاستراحة ثم تواصل سفرها الى دييب.

***

في أصيل اليوم السابع عشر من آب ، بلغت اسرة براسلان احدى محطات سكة الحديد في باريس ، واستقلت ثلاث عربات جلست الدوقة وبناتها في العربة الاولى ، وجلس الدوق والصبيان الثلاثة في الثانية، وقعد الخدم في الثالثة. وفيما العربات الثلاث منطلقة الى قصر سيباستياني، انفصلت عنها العربة التي تقل الدوق وعرجت الى شارع فوبورسانهونوره فوقفت امام النزل الذي تقيم فيه هنرييت ديلوزي ، والذي اشتد ضغط صاحبته على المربية الحسناء لانها لم تأت بشهادة سلوك من الدوقة دوبراسلان ، ونزل الدوق لرؤية صديقته، وطلب منها الحضور في اليوم التالي الى القصر لاخذ الشهادة المطلوبة مؤكداً انه سيقنع الدوقة اثناء الليل بتوقيعها..

وتابعت العربة بعد ذلك طريقها الى قصر سيباستياني فبلغته مع هبوط الليل ، وصعد الاولاد الى جناحهم ، ومضى الدوق الى جناحه دون ان يمر بجناح الدوقة التي كانت تنتظر في قلق ويأس عظيمين.. وانقضت بضع ساعات..

نامت الدوقة ، ونام جميع من في القصر ، ما عدا الدوق الذي جفاه النوم.. وطال قلق الدوق ، وشعر بقوى غريبة تعصف في قلبه وفي رأسه وفي يديه الغليظتين الخشنتين..

ودقت الساعة الرابعة صباحاً وهو لا يزال يضرب في ارض الغرفة طولا وعرضاً.. مفكراً في المأزق الذي وضعته الاقدار فيه، محاولا الاختيار بين فاني وهنرييت.. ثم لم يعد يستطيع صبراً، فارتدى معطفه المنزلي، ودنا من درج احدى الخزائن فأخذ منه عدة اشياء سلكها في جيبه ، ومضى الى باب الغرفة ففتحه ، واجتاز الرواق ، ودخل الى مخدع زوجته..

وبعد دقائق قليلة ايقظت الخدم، دقات الجرس الذي اخذ يرن في جناحهم رنيناً متقطعاً غير منتظم صادراً عن غرفة الدوقة دوبراسلان.

هرع الخدم الى غرفة الدوقة فاذا هي مغلقة ، فحطموا بابها ودخلوها ، فرأوا في ضوء الفجر الدوقة دو براسلان تسبح في بركة حمراء، وقد تحطم رأسها بضربات من مسدس كبير، وتمزق جسدها بطعنات سكين ، والدماء لا تزال تنزف من جراحها الكثيرة ، والغرفة مبعثرة من حولها تشهد بما عانت المرأة من رعب وما كابدت من عذاب ، فقد لاحقها القاتل في انحاء الغرفة وهي تحاول الهرب من بين يديه، فوقعت غير مرة ثم نهضت متحاملة على نفسها، واخذت تسير مضطربة مترنحة فاقدة الوعي، وقد امسكت يداها الداميتان بكل قطعة من قطع الاثاث، وبكل ناحية من الجدران الاربعة، وتحرت طويلاً عن حبال الجرس ثم قبضت عليها وتشبثت بها بيأس..

وقد لوث الدم كل مكان وكل شيء من الغرفة ، حتى قطعة الخبز التي بقيت من عشائها ، والكتاب الذي كانت تقرأ فيه قبل نومها وهو يسمى : « الناس الصالحون »...!

لم تكن هنالك جريمة قتل بل كانت ثمة مذبحة ومجزرة من اشنع ما عرف الناس من مذابح ومجازر.

وبينا الخدم ينظرون الى الجثة الدامية مروعين ذاهلين ، دخل الدوق الى الغرفة وفي يده شمعدان يتألق كمن افاق على اصوات الخدم واقبل لمعرفة النبأ ، فما كاد يرى جثة زوجته حتى ترامى عليها واخذ يردد بصورة آلية :

ما افظع هذا ! يا للهول ! يا لها من امرأة مسكينة ! يا اولادي المساكين ! من الذي اقدم على هذا ؟

وجاء طبيب الاسرة وفحص المرأة الممزقة ، فاذا هي مصابة بثلاثين طعنة ، منها اربع طعنات قاتلة في عنقها ، ولكنها كانت لا تزال حية برغم ذلك كله . غير انها ما لبثت ان ماتت بعد لحظات قليلة دون ان تلفظ كلمة واحدة .

لم يقم بالتحقيق في مقتل الدوقة دوبراسلان شرطة عاديون ، فان مكانة الضحية ومكانة ابيها الماريشال ، قد اثارت اهتمام السلطة فخف الى مكان الجريمة وزير الداخلية السيد ديليسير وقاضي التحقيق السيد بروسه ورئيس الشرطة السيد آلارد وجمهور كبير من الوجهاء والشخصيات الرسمية بينهم الشاعر فيكتور هوغو .

– وقال رئيس الشرطة للوهلة الاولى :

– ان القتلة المحترفين لا يقتلون بهذه الفظاعة ، لا ريب في ان القاتل من الطبقة الارستوقراطية !

واتجه الرأي اول الامر الى ان الجريمة قد وقعت بدافع السرقة وان اللصوص قد دخلوا من النافذة المفتوحة وكان الدوق دوبراسلان لا يفتأ يوجه النظر الى هذه النافذة .

ولكن الذين يعرفون ما بين الدوق وزوجته من خصومة ، وما بينه وبين هنريت ديلوزي من علاقة مريبة ، لم يصدقوا حكاية اللصوص الذين اقتحموا على الدوقة غرفتها ، واتهموا بقتلها زوجها نفسه . لا سيما وان رجال الشرطة قد اكتشفوا على ثوب الدوق لطخاً من الدم زعم انه تلطخ بها حين هرع الى نجدة الضحية واسعافها . ولكن رجال الشرطة قد اكتشفوا ما هو اعظم من ذلك ، اذ عثروا في غرفة الدوق على نصل خنجر محطم وملوث بالدم ، وسكينة صيد ، ومسدس كبير قد علقت بمؤخرته قطعة صغيرة من جلد بشري اشبه بجلدة الرأس !

لقد كانت جريمة الدوق واضحة بعد هذه الادلة الصارخة ، ولكن رجال الامن لم يلقوا القبض عليه برغم ذلك ، واكتفوا بابقائه في قصره تحت المراقبة ، فما هو السبب الذي حداهم الى ذلك وما هي الغاية التي كانوا يهدفون اليها ؟

كانت فرنسا حينذاك على ابواب ثورة شعبية ، وقد اشتد النضال بين الجماهير الكادحة والطبقات العليا ، وخاضت الصحف المعارضة في الشهور الاخيرة في كثير من الفضائح والجرائم التي ارتكبها اناس في هذه الطبقات الحاكمة ، فلم تشأ السلطة اعطاء هذه الصحف وتلك الجماهير موضوعاً جديداً لمهاجمتها والتحدث عن فضائحها وتفسخها ، وتمنت لو ان الدوق دوبراسلان ، وهو شخصية كبيرة من شخصيات الطبقة السائدة ، يوفر على نفسه وعلى الوسط الذي ينتسب اليه ، الفضيحة التي ستثيرها محاكمته والحكم عليه ، وذلك بان يقضي على نفسه بنفسه قبل ان تضطر السلطة الى اعتقاله .

تلك هي الامنية التي كانت تخالج القاضي باسكيه ، وما لبث الدوق دوبراسلان ان حقق في الواقع هذه الامنية ، او هكذا قيل على الاقل ، فتناول السم وتعرض لخطر الموت . وحينئذ عمدت السلطة الى اعتقاله في صباح الحادي والعشرين من شهر آب ونقله سراً الى سجن مجلس الشيوخ .

وقد بدأت معالجة الدوق ومحاكمته في وقت واحد ، فافتتح في ذلك اليوم نفسه الى جلسة قصيرة امام مجلس الشيوخ ، لارضاء الجمهور الذي كان يطالب بمحاكمته بجلسة عظيمة ، ولكن القاضي باسكيه رئيس مجلس الشيوخ عمد من ثم الى اجراءات واستجوابات سرية ، وكان اول ما صنعه انه حمل الدوق على الاعتراف بانه قدم سم نفسه ، وهو امر كان الاطباء قد بدأوا يشكون فيه !

وتزداد صحة الدوق سوءاً ، ويشتد الخطر عليه ، وهو مصر على انكار التهمة الموجهة اليه انقاذا لاسم عائلته من ان يلطخ بالعار . ثم يلفظ انفاسه الاخيرة بعد ثلاثة ايام من اعتقاله ، وتختم القضية ، وينتهي كل شيء . .

لقد انتهى كل شيء من الناحية القانونية على الاقل ، ولكن الشعب الفرنسي ظل يتحدث عن قضية براسلان وقتاً طويلاً كأنها قضية لا تزال قيد البحث ، لان الكثيرين كانوا على اعتقاد جازم بان الدوق دوبراسلان لم يزل على قيد الحياة . .

والحق ان هنالك بعض الادلة التي كانت تحمل على الظن بأن الاطباء الشرعيين الذين شرحوا جثة الدوق دوبراسلان بعد وفاته لفحصها لم يفحصوا جثته حقاً بل فحصوا جثة رجل آخر اعطيت لهم من مستشفى اوتيل ديو ، وان الدوق قد استعاد صحته ، وغادر السجن الى انكلترا حيث عاش وقتاً غير قصير !

اما هنريت ديلوزي فقد اوقفت عدة اسابيع ، ثم اطلق سراحها لثبوت براءتها من الجريمة ومن التحريض عليها ، ثم رحلت الى انكلترا ومنها الى اميركا فتزوجت في نيويورك الكاهن هاري فيلد وهو اصغر منها سناً ولكنه أرمل وذو ولدين .

ويذهب بعض المؤرخين الى ان مصرع الدوقة دوبراسلان بهذا الشكل الوحشي ، وما تناقلت الالسن من عزم الحكومة على انقاذ القاتل من يد العدالة لنبله وغناه ، ثم ما شاع عن هربه الى انكلترا ، كان احد العوامل التي اذكت نقمة الشعب الفرنسي على الطبقة الحاكمة وأدت الى ثورة سنة ١٨٤٨

فدري قلعجي





مجموعة اسطوانات

بقلم نزار سليم

وقفت خلف بار المشرب ترقب الشاربين وعلى فمها الملطخ بالصبغ ابتسامة لا معنى لها ويدها تعبث بالقطع المدورة التي كان يعطيها اياها صبي المشرب بعدان اخذمنها قدحاً من البراندي وانتابها شعور غريب من الاطمئنان وعدم المبالاة، فليس في وقفتها وابتسامتها ما يمكن ان يغير مجرى حياتها وانها اذ ترقب هؤلاء الرجال لتحس بنوع من العزة والغرور ، ولو كانت فتاة عادية كباقي الفتيات لاحبها شخص واحد وتودد اليها وحده وحاول ان يسترضيها دون غيره. اما هي ففي وقفتها هذه وابتسامتها ونظرتها الموجهة الى الجميع دون تعيين، بامكانها ان تطمئن الى ان كل واحد من هؤلاء مستعد الى ان يوفر لها كل ما تطلب. واكثر من هذا فانها تعرف محبيها هؤلاء اكثر مما تعرف اية فتاة ما يضمره محبها. . اجل انها تعرفهم واحدا واحدا، تعرفهم حتى لو كانت هذه الخطوة التي يخطوها هذا القادم اول خطوة في المشرب. انها تعرف الشخص من جلسته ويده على مسند الكرسي الخشبي مرمية دون اكتراث والسيجارة في زاوية من فمه ، او من نظرته اليها او الى الحائط . انها تعرف من نظرته هذه ما يريد ولماذا جاء الى المحل واي نوع من الاسطونات يحب ، وعلى الاخص الاسطونات . . انها لتتخيل هؤلاء الرواد مجموعة اسطوانات لا غير.

وابتسمت لهذه الفكرة الطارئة وشردت نظرتها لدى هذا الخاطر الغريب . فبامكانها الآن ان تحول نظرة هذا الرجل الجالس قبالتها الى نظرة سعيدة وان اسطوانة (حبيتو لكن ما بأولشي) تجعل من هذا الشاب المنفرد على المنضدة في الزاوية الفضية قطعة



من ذكرى . وهذا الذي جاء الآن يعرج من مدخل المشرب،انه ليبوت طرباً باسطوانة (افديه ان حفظ الهوى او ضيعه) . لكل واحد من هؤلاء اسطوانته المفضلة . حقاً انهم مجموعةاسطوانات.

— آنسة تسمحين،نسمع اسطوانة ما لي فتنت بلحظك الفتاك!

— تكرم .

واستدارت نحو الاسطوانات بعد ان ابتسمت له. يجب ان تبتسم له على اية حال، ولو انها واثقة في قرارة نفسها انه انما كان يعنيها بهذا الطلب . وقبل ان ابتعد الرجل قالت له :

— على ان تقرأ هذه القطعة من الآن فصاعداً .

قالتها باسمة فنظر الى لافتة كتب عليها (الرجاء ممنوع طلب الاسطوانات) فابتسم وهو يترجع مبتعداً :

— لا بأس هذه المرة فقط آنسة . — تكرم .

ولكن الذي حيرها هو ذلك الذي دخل المشرب الآن ،انها لم تستطع فهم نظرته التي كان يلقيها عليها بين حين وآخر عندما تصعد الخمرة في رأسه . انه لم يطلب منها اية اسطوانة حتى الآن كما انه لم يظهر التأثر على وجهه من اية اسطوانة انه يجلس هكذا، كما جلس الآن ، طوال الوقت يشرب ويدخن ويرقب الجالسين وبين آن وآخر ينظر اليها نظرة ليس فيها اي معنى وفيها كل شيء. وقد حاولت كثيراً ان تظهر عدم اهتمام به بل انها لتكثر الابتسام لغيره كلما نظر اليها . لشد ما كرهت نظرته هذه .الظاهر انه لم يأت من اجل الشرب فهو غير آبه بما يشرب وكم يشرب واي نوع يشرب كما انه لم يأت من اجلها كما يفعل ذلك الجالس في زاوية المشرب الذي يرهقها بنظراته الشرهة الحيوانية وابتسامته كما طلب شيئاً جديداً وكأنه يقول بابتسامته (انني اشرب من اجلك) او انظري ان الشرب لا يؤثر في باي مقدار كان !

وكانت الاسطوانة قد انتهت فاسرعت الى مجموعة الاسطوانات تقلبها ووضعت ما اختارته على فخذيها تنتقي منها الاسطوانة الملائمة لهذه الساعة فلكل ساعة او لحظة اسطوانتها المناسبة بالنسبة لها وللرواد. فهناك اسطوانات تعجل من كان يود الخروج ويود المكوث وشرب كأس بيرة اخرى .

ماذا تضع الآن من هذه الاسطوانات !

والقت نظرة على الرواد وابتسمت اذ عادت الى ذهنها فكرة الاسطوانات . ولكن هذا ! اي نوع من الاسطوانات يحب ؟ انها لتتشوف الى معرفة ذلك ، اليس من الممكن ان تعرف ؟

آه . . هذه الاسطوانة لا بأس بها في هذه الساعة .

— انت انت ولا انتش داري . انت انت نعيمي وناري .

— وابتسمت للكل ونظرت للكل .

واراد كل من في الحانة ان يفسر هذه النظرة في صالحه ، الم تنظر اليه عندما وضعت الاسطوانة ! واكثر احد الجالسين صاحبه وهو يبتسم وطلب آخر المزيد من البراندي .

وفي جولة نظرتها العابرة هذه مرت على كتفي هذا الغريب وقد ادار ظهره ناحية البار فلم تتمكن من رؤية وجهه وأسرعت في نقل نظرتها خشية ان يحس احد الرواد او يلحظ نظرتها التي طالت والسكارى يلحظون كل شيء من هذا القبيل بسهولة لتجسم الفكرة في ذهنهم .

واستمر عبد الوهاب يحصر اغنيته على شخص واحد معين راحت هي تبعثره بين رواد المشرب فكل واحد منهم الآن (هو) (هو ولاهوش داري) .

وكلما صاح عبد الوهاب . — انت .

وزعتها نظرتها على الرواد بكل بذخ وتعميم . وفجأة احست بسخف ما تفعل وبحقارة وقفتها الوحيدة ، بين قطيع من السكارى كانت نظراتهم تتجاوب ونظرتها السابحة في كل مكان وتلاشت الابتسامة من فمها الملطخ بالصبغ رويداً رويداً .

انه هذا هو الفرق بينها وبين غيرها . وفجأة اسرعت الى (الكرامفون) فرفعت الاسطوانة ، وهناك من لاحظ هذه الحركة منها وهناك من لم يأبه بها وهناك من لم يعرف بان الاسطوانة قد انتهت ام لا . لقد سئمت فجأة وبدون سبب معقول وقفتها هذه . انها تريد من تضع له هذه الاسطوانة او تغنيها له انها تريد من يمكن ان تقول له : انت ، انت . دون غيرك . انها بحاجة الى شيء من الاخلاص الذي حرم عليها ، فهي لا تستطيع الآن ان تخلص لاحد فلن يخلص لها احد بدوره من هؤلاء الذين كانت تشعر بالعزة والغرور كلما فكرت بانهم على استعداد لتوفير كل ما تبغي ! .

وهوت الاسطوانة من يديها فرفع بعض الرواد رؤوسهم ، وتعجب آخرون وضحك قسم آخر بينما اسرع صاحب المشرب فوجدها تبكي : — ما هذا !! أمن اجل اسطوانة تبكين؟ لا عليك يا حبيبتي لا عليك ، لقد كان قضاء وقدراً . . سوف لن اطالبك بثمنها .

واسرع الى (الكرامفون) فوضع اسطوانة اخرى على عجل خشية ان يؤثر هذا الحادث في رواد المشرب بينما ظلت هي تبكي بسكون وقد اخفت وجهها بيديها خلف البار .

دمشق نزار سليم

الشطرنج بين انصاره وخصومه

بقلم مبارك ابراهيم

قال أنصار الشطرنج: هو لعبة الملوك وهو رياضة للعقل. ومن المحتمل انه جاء من الهند اما اصله فقد ضاع في لفائف القدم. وقد انتقل من الهند الى فارس ومن فارس الى اوروبا. فعرفته فرنسا اولا. ثم عرفته انجلترا.

وكل مصطلحات هذه اللعبة شرقية الاسماء، وقوانين هذه اللعبة واحدة في جميع بلاد العالم. ويرجع تاريخ لعبة الشطرنج في انجلترا الى القرن الحادي عشر الميلادي. وقد اولع بها الملك «وليم الفاتح» (١٠٢٧ — ١٠٨٧) وقيل انه لما هزمه امير فرنسا القى برقعة الشطرنج فوق رأس الإمير فكان هذا سبباً في ان تنشب بينهما عداوة شديدة.

ولعبة الشطرنج هي اولا وآخراً لعبة البراعة والمهارة. وقد سميت «فن العقل الانساني» وقيل انها تقوي الذاكرة. وتفتق القوى العقلية وقيل انها تعمل في تلك القوى عمل الرياضة البدنية للجسم.

ويقرر الخبراء في هذه اللعبة ان بضعة اسابيع تكفي للالمام بها. ولو ان من الثابت ان اللاعب الماهر يولد ولا يصنع.

ومن امهر لاعبيها « تسوكرتورت » البولندي (١٨٤٨ — ١٨٨٨) وقد كان الفائز الاول في المباراة الدولية التي اقيمت في باريس عام ١٨٧٨ كما كان الفائز الاول في مؤتمر الشطرنج الذي عقد عام ١٨٨٣ وقد قيل عن هذا الرجل انه كان يدير اللعب فوق ست عشرة رقعة في آن واحد.

واليك ما قيل ذماً في لعبة الشطرنج: قال احد شانئيها: لقد مضى علي اليوم ما يقرب من العشرين عاماً منذ خرجت من أسر الرق الظالم رق تلك اللعبة المعروفة بلعبة الشطرنج. مستعيناً في ذلك بكل ما اوتيت من قوة في الاراده. ومضاء في العزيمة وقد ظللت عدداً من السنين اسيراً لتلك اللعبة. وكنت اذهب يوماً والقي بنفسي، فيحتويني الندي الذي يلعب فيه اللاعبون تلك اللعبة، كما تذهب الفراشة تعرض نفسها للاحتراق باللهيب.

ثم اظل هناك لا اقل من سبع ساعات مسلوب الارادة وكأنما طاف بعقلي طائف من الجنون فأنسيت مباهج الكتب والموسيقى ومسرات الواجبات البيتية كما انسيت حب الزوجة والاهل. ثم اصبحت عالقاً بتلك اللعبة لا أستطيع عنها انفكاكاً.

وكنت اقضي مع سائر مدمني تلك اللعبة ساعات اليقظة جاثماً امام منضدة من الرخام في (قهوة فينا) او في (الصالات الجديدة) او في بناية نادي (اثينيوم) واقصد «نادي الشطرنج» لا «نادي الادب». حيث كنت واحداً من اسارى هذا الافيون. فاذا الفيتني يوماً غير لاعب — في الحقيقة والواقع — (وأنه لاقرب الى السخرية والتهكم ان يحسب الشطرنج في عداد الالعاب). اقول اذا الفيتني يوماً غير لاعب — في الحقيقة والواقع — وجدتني منكباً على تأليف مسائله او مشغولا بحل تلك المسائل. واذا رأيتني يوماً وانا انظر الى رقعة الشطرنج. وكأن بصري قد سكر كما سكر بصر الذي غلبه النوم على امره. فاعلم اني قد شغلت بأمر اللعب بطريق المراسلة مع امثالي من المجانين « في منشستر » او « ايستبيورن ».

ولقد حضرت المباراة التي جرت بطريق التلغراف في منتدى « سيسيل » عندما لاعبت انجلترا امريكا. ولقد استوعبت مواد كل عدد من اعداد « مجلة الشطرنج البريطانية » ولم ادع منها شيئاً. وقرأت الكتب والمقالات التي كتبت عن الشطرنج. وكنت اذا بقي لي من الوقت فسحة. قطعت قصاصات المسائل لدرسها وحلها. وكنت احمل في جيب صدريتي جراباً من الجلد، وهو شيء يبدو بريئاً لا ضرر فيه. فاذا تبينته الفيته رقعة من رقاع الشطرنج وذلك توقعاً لملاقاتي — اذا سافرت — احد الذين بهم جنة من امثالي.

ولاعبو الشطرنج في نظر المشاهدين ذوي النظرة العابرة، هم خلائق في المحل الارفع من لين العريكة ودماثة الخلق وهم قوم يعيشون في الاسر. وكنت انا على هذا الرأي يوماً ما وكان يبدو لي ان هؤلاء النساك العابدين يقضون حياة بريئة طاهرة، نقية. وانهم يشغلون انفسهم بمتابعة لعبة، وان خلت من اية فائدة ونفع فلا اقل من انها لا تلحق اي اذى برجل من الرجال او دابة « من الدواب ».

ولقد اتى علي حين من الدهر خلت فيه ان العالم قد ينجو اذا ازيح السياسيون كلهم عن كراسيهم. وجلس مكانهم لاعبو الشطرنج. ولكن هذا الرأي كان قبل ان ادرس نفوس هؤلاء الرجال التعساء البائسين وقبل ان يسمم دمي ذلك المكروب الذي يلهب اجسامهم.

واني لارجو منك ايها الرجل الذكي الذي لم تمسسك نار هذه اللعبة ان تدقق النظر في سلوك اولئك اللاعبين الذين غووا واضلوا. وقد شغلت نفوسهم بما يصفونه ويسمونه « لعبة المباراة ».

وانت اذا امعنت النظر الفيت الى جانب كل ضحية من اولئك الضحايا جهازاً قوامه ساعات ذات رقاص. حتى اذا نقل واحد من غلاة الشطرنجيين قطعة من قطعه لمست يده زراً من الازرار فتقف

عندئذ ساعته وتبدأ ساعة خصمه في دوران لا يبطىء ولا يتوقف.

وطبقاً لقوانين اللعبة فان من لا يحرك قطعه عشرين تحريكة في الساعة عد من الخاسرين . ولذلك فان ما يقال من ان ريح الطمأنينة تملأ جو هذه اللعبة انما هو محض افتراء. وانك لتجد الارنب امام حيوان ضار من الجوارح اهدأ بالا واكثر طمأنينة واقل عذاباً.

ولاعبو الشطرنج هم في ظاهر أمرهم هادئو البال. ولكن بين حنايا ضلوعهم ناراً تلظى، وفي عروقهم دماً يغلي ويفور، وفي رءوسهم براكين تكاد تنفجر . وفي نفوسهم توفزاً وقلقاً

والى جوانبهم تدق تلك الآلات الجهنمية . وكأنما حياتهم تتسلل في ثنايا دقاتها . وهي تنذر بوقوع القضاء في آخر دقاتها .

وفي عام ١٢٣٠ ميلادية قامت في فرنسا حكومة برة حكيمة فمنعت منعاً باتاً الافراط في هذه اللعبة .

وجاء في كتاب من كتب التاريخ ان رجال الدين في فرنسا لم يحرم عليهم ان يلعبوا الشطرنج فحسب بل حرم عليهم ان تكون في بيوتهم رقعة من رقاع الشطرنج .

وفي الحق ان هناك دواعي نفسية لاخفاء بها ولا غموض تبرر افراط لاعبي الشطرنج في لعبهم . فلعبة الشطرنج لا تعرف عنصر الحظ . وهنا الحمة التي تلسع . ولهذا السبب وحده لم تخلق هذه اللعبة المزعومة للاناس الذين وهن العظم منهم والذين تاهوا في بيداء الحياة.

وقد يصح ان تكون هذه اللعبة صالحة لفلاسفة الصين . اذ قد يستطيع اولئك النساك ان يصلوا بانفسهم فوق مستوى صفوف الرعب والفزع التي تنتابنا . واننا لنعلم ان الصينيين يستطيعون ان يلاقوا — في قوة احتمال بل وهم باسمون — اقسى انواع العذاب واشدها هولا ولهذا كانوا الذين اخترعوا لعبة الشطرنج .

ولكن الاناس الذين خلقوا من صلصال يجب عليهم ان يتجنبوا العراك الذي تجرد من صفة الانسانية .

وليعلم القوم العاديون تلك الحقيقة المرة التي تقرر ان لا عذر لخاسر في تلك اللعبة . فاللاعب يملك تحريك القطع . وللعبة قواعدها المقررة كأنها الحقائق العلمية . وهي لا تعرف للشفقة معنى .

وفي صفوف الالعاب الاخرى التي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً يراعى دائماً ان الانسان من لحم ودم . ويحسب لهذا اللحم المسكين حسابه . ويراعى هذا الضعف الانساني عند تقديم الحساب .

وحكمة الكون قد تفضلت فاقرت وجود عنصر الحظ وانك لواجد في لعبة «الكريكيت» وفي «لعبة البليارد» اثر الحظ واضحاً. وانك لواجد اثر الحظ ايضاً في لعبة البوكر وهي التي تستند في صميمها الى المهارة والبراعة . فقد يسعد الحظ مبتدئاً في تلك اللعبة فيلقي بين يديه بكل الاوراق الرابحة . وهكذا الشأن في كل لعبة قصد بها الى التسلية الحق .

ولا كذلك الحال في الشطرنج . ومن ثم فان المنهزم فيها لن تجد له عاذراً او راحماً والمنهزم في الشطرنج يبيت الليل تؤرقه الحمى وهو يتقلب على فراشه ولا يعرف للعزاء سبيلا. ثم يبقى على تلك الحال اسبوعاً او اكثر من اسبوع . وهو يتذكر كل تحريكة قام بها قاهره. بل قد يتذكر تذكراً تخالطه مرارة هي العلقم او امر اغلاطه واخطاءه التي اقترفها وهو يسرف على نفسه باللوم فيقول : ليتني لم اتخذ خطة الدفاع التي لم تكن خطة سليمة . او يقول : لو تحصنت قبل فوات الاوان لكان اسلم واحجى. وهكذا ولكنه في كل هذا لا يجد لنفسه عذراً . ولا يلوم الا نفسه . وليس لمثل هذه العزلة الروحية قد خلق الناس.

ولهذا كان « نابليون» اذا لاحت لعينيه بوادر الهزيمة قلب رقعة الشطرنج في خفة ورشاقة . وحسناً ما كان يفعل الامبراطور فان في انهزامه ما يقوض دعائم النظام . وليس يليق ان يسمح لضابط صغير مغمور مثلا ان يهزم قائده .

وقد قال بطل « اوسترلتز » مرة : لست رجلا عادياً كسائر الرجال وان قوانين اللباقة وقواعد الكياسة لم تصنع من اجلي .

وكان يثق بسعود نجمه ثقة لا حد لها فكان اذا تهددته الهزيمة القى — كما قدمنا — بقطع الشطرنج في جرأة واقدام .

وانه لمن الصواب حقاً ان تلعب هذه اللعبة بواسطة الاجهزة والآلات وهذا ما يفسر لنا صيحة الفرح البالغ التي حيت بها اوروبا عام ١٨٧٥ لاعب الشطرنج «الاوتوماتيكي» الذي صنعه (كميلن) فقد كان يؤتى بالشخص الاوتوماتيكي وهو لابس ملابس الترك ويوضع خلف صندوق. ثم يجيء العارض وهو الماني . كان موسيقياً . وكان مخترع آلات موسيقية واسمه « ميلتسل ».

فيفتح هذا الصندوق ويعرض جهازه . وهو مجموعة معقدة من الاسلاك . والزنبركات . والتروس . والعجلات .

ويبدو ان الشخص الاتوماتيكي كان لاعباً ماهراً . فكان وهو البادي في زي تركي يهزم خصومه الا قليلا منهم .

وانقسم الناس في امر هذه اللعبة قسمين . فقال قائل منهم ان في الصندوق رجلا قميئاً . وقال آخر . انما هذا الجهاز مخبأ اعد ليختفي فيه لاعب آدمي . وكلا الرأيين يحتمل الصدق .

ولكن لا مفر من القول ان كميلن كان على اية حال من الذين

العشق في الادب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

العشق صورة من صور الادب العربي الرائع، فيه سحر وفيه افتتان، وطمأنينة يحسها القلب ويرتاح اليها الخاطر، وانك ما تقع على كتاب ادب، الا رأيت فيه جملة صالحة منه، تقف امامها مأخوذ الفؤاد، مجذوب الخاطر الى ما تقرأ من حوادث العاشق، فيطربك قوله، ويعجبك عفافه، ويستهويك خياله. والشاعر محلّق، رقيق كهف النسيم او احلى، ما دام محباً عاشقاً، أو ما يطربك قول بكر بن النطاح وهو اشعر اهل الغزل بشهادة ابي هفان وقد انشد قوله:

أرانا معشر الشعراء قوماً ... بألسننا نعمت القلوب
اذا انبعثت قرائحنا أتينا ... بأقوال تُشق لها الجيوب

وفي العشق كتب غير واحد من الادباء القدامى كابن عبد ربه وابن قتيبة والجاحظ والاصفهاني والابشيهي والسرّاج وغيرهم كثير.

ويؤخذ من اقوالهم ان الاعراب ما كانوا يعرفون في العشق ريبة ولا تتعداه الى سوى الضمة والغمزة والقبلة، وقد حدث الاصمعي قال: « قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم » قالت: « الضمة والغمزة والقبلة » ثم انشأت تقول:

ما الحب الا قبلة ... وغمز كف وعضد

وقيل لاعرابي وقد زفت عشيقته على ابن عم لها، أيسرك ان تظفر بها الليلة قال: نعم والذي امتعني بحبها واشقاني بطلبها. فقيل له: وما كنت صانعاً بها؟ قال: كنت اطيع الحب في لثمها واعصي الشيطان في إثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بما يبقي ذميم عاره وينشر قبيح أخباره »

وما يدلنا على صدق هذا الزعم ما أنشد بعض بني كلب:

إن اكن طامح اللحاظ فاني ... والذي يملك الفؤاد عفيف

وقال العباس بن الاحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

ومجمل ما ينقله لنا الرواة في عشق جميل لبثينة، ان جميلاً اقبل يوماً بابله حتى اوردها « وادي بغيض » فاضطجع وارسل ابله مصعدة واهل بثينة بذيل الوادي، فاقبلت بثينة وجارة لها واردتين ماء، فمرتا بفصائل لجميل، فضربتهن بثينه وكانت حينئذ جويرية لم تدرك، فسبها جميل فردت عليه، فلح اليه سبابها وفي ذلك يقول:

وأول ما قاد المودة بيننا ... بوادي بغيض يا بثين سباب
فقلنا لها قولا فجاءت بمثله ... لكل كلام يا بثين جواب

ولم يرها بعد ذلك حتى درجت عن الطوق وصارت شابة، وكان هذا في يوم عيد فوقعت من نفسه موقعاً حسناً، فخطبها فرُدّ، لان العرب كانت تستهجن ان تروج من جرى بينهما عشق. وروي ان شيباً اخا بثينة رأى جميلاً عندها فوثب عليه وآذاه. وحدث ان شيباً جاء مكة وجميل فيها فقيل له: دونك شيبياً فخذ بثأرك منه فأنشد:

وقالوا يا جميل أتى اخوها ... فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب

وقد تأخذ العاشق سكرة عن نفسه فينسى ما حل به من الم او ما أصابه من اذى المحبوب كما جرى لعمر بن ابي ربيعة وقد حدث عن نفسه قال: « كنت بين امرأتين هذه تساورني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة تلك». وقد يبالغ العاشق في ما يزعم او يقول، فيجري الحقيقة على غير ما وقع له، يريد بذلك تصوير شدة تتيمه وتدلهه كما يوحي الينا بيت شيبان العذري:

لو حُزّ بالسيف رأسي في محبتها ... لطار يهوي سريعاً نحوها راسي

ونفهم من الذين اخذوا بدراسة احوال العاشق وخبروا نفسيته انهم قد حددوا العشق بقولهم: هو نهاية درجات المحبة، وعجب المحب بمحبوبه، والافراط فيه يكون في عفاف وهو اصحه، وفي دعارة وهو اقبحه، وفي عمى الحس عن ادراك عيوب المعشوق. وقد يكون مرضاً وسواسياً يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض

اسدوا الخير للناس كلهم. ذلك لانه قد حول عراكاً شيطانياً الى عراك آدمي. وهو باختراعه الصادر عن عبقرية وذكاء قد استل من لعبة الشطرنج وخزتها السامة. وذلك ايضاً لان كائناً من كان قد لا يرى بأساً في ان تغلبه على أمره آلة ميكانيكية دون ان يلحقه عار الهزيمة.

وقد اشترى نابليون هذه اللعبة وهذا العون من الدباء فورظهورها.

وليعلم العقلاء ان لعبة الشطرنج بين رجلين. واخطر من هذا بين رجل وامرأة. انما هي سم ناقع. وانما هي سوسة قارضة أكالة وانما هي مخدر مدمر هدام. واذا قيس الى الحشيش عد هذا لعبة او قطعة من الحلوى. والشطرنج يغري ذات الخدر. وربة القصر المشيد، فتترك خدرها وتنسى قصرها. بل تنسى واجبات الولاء. ولعبة الشطرنج لو عرضت لاشمط راهب لانسته مسوحه وزناره والهته عن ورعه وتقواه.

القاهرة ... مبارك ابراهيم

الصور. وقال الجاحظ: «العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجوى». وقيل: «اول العشق النظر واول الحريق الشرر». وكان الاعرابي العاشق يشق برقع حبيبته، والمرأة تشق رداء حبيبها وفي العادة انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقد انشد عبد بني الحسحاس.

وكم قد شققنا من رداء محبّر ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شقّ برد شقّ بالبرد برقع من الحب حتى كلنا غير لابس

ويذهب ابن فارس الى ان العشق هو الغرام بالنساء، وذهب غيره الى ان العشق لا يعرض لغليظ الطبع ولا لفاسد المزاج ووضيع الهمة، وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال: «اني لا انكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك». وفي مجمع السلوك «ان بداءة المحبة الموافقة ثم الميل ثم المؤانسة ثم المودة ثم الهوى ثم المحبة ثم الشغف ثم التيتم، ثم الوله ثم العشق». وجاء في كليات ابي البقاء «ان اول مراتب الحب الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الشغف واللوعة واللاعج مثل الشغف ثم التيتم ثم التبل ثم الوله ثم الهيام».

وكان العرب في جاهليتهم اذا وصفوا حبيبة ذكروا من محاسنها ما يعلمون وما تنطوي عليه قلوبهم. من ذلك قول الشنفرى:

ارى امّ عمرو ازمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت
فدقت وجلّت واسبكرت واكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

وقول امرىء القيس:

اغرّك مني ان حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعلِ
وما ذرفت عيناكِ الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتّل

وانك لترى كثيراً من صور الوصف المتأتي عن العشق في ما ازعم من ذلك قول زهير بن ابي سلمى:

كبداء مقبلة وركاء مدبرة قوداء فيها اذا استعرضتها خضعُ

وقول الافوه الازدي:

سودٌ غدائرها بلج محاجرها كأن اطرافها لما اختلى الطنف

وقول ابي صخر الهذلي:

وتلك هيكلة خود مبتلة صفراء رعبلة في منصب سنم
عذبٌ مقبلها جذل مخلخلها كالدعص اسفلها مخضودة القدم
عهلٌ مقيدها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت من الكرم

وقال المجنون:

قالت جننت على ذكري فقلت لها الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وانما يُصرع المجنون في الحين

وكثيراً ما نرى العاشق يستعير ادوات عمله في الافصاح عما يجول في جمع قلبه، من ذلك ما نراه في شعر الاخفش الحداد قال:

مطارق الشوق منها في الحشى أثرٌ يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقده ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وعن مساور الوراق انه قال لمجنون شاعر كان عنده، قيل انه قد خوالط في عقله لفقده ابنة عم كان يعشقها، أجز هذا البيت:

وما الحب الا شعلة مدحت بها عيون المها باللحظ بين الجوانح

فقال على المكان:

ونار الهوى تخفي وفي القلب فعلها كفعل الذي جادت به كفُ قادح

ومن لطيف ما يروى عن رجل اسمه زهدم من بني عذرة، كان يدعى العشق وهو بدين أكول قد صحب جميلاً فقال فيه:

وقد رابني من زهدمٍ ان زهدماً يشد على خبزي ويبكي على جُمْلِ
فلو كنت عذريَّ العلاقة لم تكن سميناً وانساك الهوى كثرة الاكل

ونرى ان الادباء قد اخذوا بمذهب العشق عن العرب الذين كثيراً ما اوصوا به. فقد قيل ان سليمان بن عمرو قال لادباء كانوا معه، انتم ادباء، وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء. ونغم فهل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. قال: اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل، ويبعث على التلطف وتحسين اللباس، وتطييب المطعم، ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة.

وفي امثالهم «اذا دخلت ارض الحصيب فهرول» اي اسرع في مرورك لئلا تفتنك نساؤه بجمالهن، والحصيب موضع في اليمن يوصف بحسن النساء. وقال احمد بن يحيى:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى واني واياها لمختلفانِ
هواي عراقي وتثني زمامها كبرق سرى بعد الهدو يماني
تحن وأبكي انها لبلية وانا على البلوى لمصطبران

وقد قالوا ان ذنب العاشق على غير ريبة مغفور، فلتطمئن قلوب العشاق ففي افتاء الفتح بن خاقان ما يهدىء الروع ويبعث على الراحة قال:

ايها العاشق المعذب صبرا فخطايا اخي الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أحط لذنب من غزاة وحجة مبرورة

هذه المامة عن صور العشق في الادب العربي وهو على كثرته في مطلق المجاميع، لا نرى من تجرد لدراسته غير الدكتور زكي مبارك في مصر ذهب فيه مذاهب قد يؤاخذ عليها، والعشق على جلال موضوعه وما فيه من الصور والاخيلة والرقة ما يبعث على دماثة الاخلاق وتليين العريكة وملاحظات قد يفاد منها طلاب علم النفس عدا ما يجد فيه دارسوه من تذوق للجمال وانتخاب للالفاظ. وقديماً ألف به الامام ابن حزم الاندلسي في كتابه «طوق الحمامة في الالفة والالاف» وابن السراج في كتابه «مصارع العشاق» وآخرهم على ما اظن الانطاكي في كتابه «تزيين الاسواق» رحم الله العاشقين واثابهم خيراً لما تركوا لنا من معين ادبهم واخبارهم.

عيسى ميخائيل سابا

ماتاهاري

الشيطان الذي كان يسكن جسد امرأة

●

روّدت الاوساط الفنية والبورجوازية في باريس ، في ربيع سنة ١٩٠٥، اسم راقصة ظهرت للمرة الاولى على مسرح غيمه فلفتت الانظار وانتزعت الاعجاب برقصاتها الشرقية الجريئة. . وكان اسم هذه الراقصة غريباً وموسيقياً ، فكان المعجبون بها، وما اكثرهم، يرددونه في شيء كثير من المتعة والخيلاء.

لقد كانت تدعى ماتاهاري. . فمن هي ماتا هاري هذه التي كان الناس يتحدثون عن جمالها المثير وسحرها الخلاب؟ أهي اميرة هندية حقاً ؟ ام هي من سلالة الفراعنة المصريين ؟ أم هي فتاة جميلة لا اكثر ولا أقل ، جاءت من قطر مجهول ومعها هذه الاسطورة التي تبنتها الصحافة وطبلت لها كثيراً ؟

مهما يكن من امر فان هذه المرأة التي كانت تعرف جميع اللغات الحية، حتى اللغة اللاتينية، قد فرضت نفسها على الباريسيين فرضاً بما رافق ظهورها على المسرح من جو اسطوري، وما نشر حولها من دعاية واسعة، فكان الجمهور الذي يقبل لمشاهدتها يتكاثر يوماً بعد آخر ، وفي كل يوم كان يزداد بها اعجاباً ولها تحمساً . .

ولكن هل كانت ماتاهاري جميلة حقاً؟ ان اولئك الذين تثيرهم رقة المرأة وظرفها وانوثتها الساحرة وعذوبتها المحببة، لم تكن ماتاهاري لتثير في نفوسهم أية عاطفة. غير ان هواة الجمال الشاذ كانوا يؤخذون بوجهها المستطيل الشاحب الذي تتألق فيه أسنان ناصعة البياض، وعينان سوداوان عميقتان، ملتهبتان ، مائلتان نحو الصدغين ، تنفذ نظراتهما الى القلوب وتثير فيها الرغبة الجامحة.

وقد كان لهذا الجمال عشاق كثيرون من رجال المال والسياسة ومن رجال الادب أيضاً ، فتراموا جميعاً عند قدمي الراقصة الحسناء يقدمون لها قلوبهم وأموالهم . .

وكان المال حاجة ملحة لديها، فهي تنفق بسخاء، وتعيش في ترف باذخ، وقد استأجرت قصر نويلي وجعلت منه قصراً من قصور الف ليلة وليلة ، واحاطته بأجواء تلك القصور، وكانت تقضي وقتها فيه بين تماثيل الآلهة الهندية، والسيوف المعقوفة ذات القبضات العاجية، والستائر البرتقالية والارجوانية، وشذا الطيب والبخور يعبق من مجامر الفضة، ويتعانق أحياناً مع رائحة الافيون . . . والاميرة الراقصة مستلقية على ديوان شرقي كبير ، بين الوسائد المتعددة الالوان ، كأنها ربة من ربات الهند ، تستقبل عبادها وسدنة هيكلها المقدس . .

في ذلك الجو الساحر كانت ماتاهاري تستقبل زائرها، وكثيراً ما كانت تدعه ذاهلاً مشدوهاً بين يديها، وهي مستغرقة في صمتها وسهومها، ثم تنهض فترقص له بمفرده ، وليس عليها غير وشاحها الاصفر او الاحمر الشفاف ، ثم تلقي بهذا الوشاح جانباً فتبدو عارية الا من كأسين نحاسيتين تغطيان نهديها ، وأساور ذهبية تطوق معصميها وكاحليها، وتستمر في رقصها المثير حتى يتهالك الرجل عند قدميها ، متوسلاً اليها، واعداً اياها بما تشاء وتهوى . .

ويقول الكاتب الاسباني غوميز كاريلو في كتابه : « حياة ماتاهاري وموتها واسرارها » ان في هذه المرأة سحراً عجيباً كان يسيطر على الرجال الذين يعلقون بها، ويؤكد ان اللواتي يفقنها جمالا كثيرات جداً ، ولكن ليس بين النساء امرأة تستطيع مثلها ان تحول الرجال الى عبيد لها .

ماتاهاري الراقصة



ماتاهاري

●

استمر نفوذ ماتاهاري على عشاقها يتسع ويتعاظم حتى انفجرت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤..

ومرت السنوات الاولى من الحرب سريعة حيناً بطيئة حيناً آخر.

واطلت سنة ١٩١٧ وقد ران على الجبهه ركود عام..

وفي الثالث عشر من شهر شباط في تلك السنة، نشرت الصحف نبأ توقيف مرغريت جرترود زيل بتهمة التجسس لحساب الالمان..

وسرعان ما عرف الناس أن هذه المتهمة هي الراقصة ماتاهاري، وقد كانت تواصل رئيس الجاسوسية الالمانية في هولندا، بالمعلومات المهمة طوال ايام الحرب، وتوقع رسائلها اليه بهذا الرمز: هـ-٢١.

ارسلت ماتاهاري الى سجن سان لازار، وعهد الى الكابيتن بوشاردون بالتحقيق في قضيتها، واختارت هي المحامي كلونيت لدفاع عنها.

وتجددت الاشاعات والاساطير عن منشأ ماتاهاري وعن سيرتها. ووقفت هي امام المحققين فزعمت انها هندية الاصل، نشأت على ضفاف نهر مالابار، وهي تنتسب الى طائفة من طوائف البراهمان، وان اسمها الحقيقي هو ماتاهاري ويعني «عين الفجر»، وقد خطت خطواتها الاولى في معبد الاله سيوه فجعل من خطوها رقصاً موقعاً وغدت تجيد الرقص اكثر مما تجيد السير.

وحين قاطعها المحقق قائلًا:

— كلا، انك لا تدعين ماتاهاري، بل مرغريت جرترود زيل!

أجابت بسذاجة: — كيف عرفتم ذلك؟

غير انها ما لبثت ان فسرت ذلك بقولها ان تذكرة هوية مرغريت زيل هي تذكرتها في العالم المسيحي، ولكنها في الواقع هندية بوذية، تشهد بذلك قسمات وجهها الشرقية. واخذت تشرح ذلك بلفظها الثقيل، فهي تعرف كثيراً من اللغات ولكنها لا تجيد التكلم في واحده منها، وحين تضطرب وتحتدم تتحدث باللغات الفرنسية والالمانية والايطالية في وقت واحد.

غير ان اثبات هوية ماتاهاري ومعرفة ماضيها لم يعجزا لجنة التحقيق فقررت ان الراقصة المتهمة هولندية الاصل، وقد ماتت امها وهي في سن الرابعة عشرة، فأدخلها ابوها الى الدير فبقيت فيه اربع سنوات ثم غادرته عائدة الى المنزل العائلي، فما عتمت ان التقت بالكابيتن ماك ليود فشغف كل منهما بالآخر، وعقد لها عليه. غير ان الكابيتن الشاب كان فراشة تسعى من زهرة الى زهرة، فهجر بيته وانطلق وراء لذته، وتعزت المرأة عنه بابنها نورمان الذي وضعته بعد انقضاء سنة واحدة على زواجها.

ثم عاد الزوج الشارد الى المنزل، واصطحب زوجته الشابة ذات مساء الى البلاط الهولندي، فأدهشت الحاضرين بجمالها الغريب وملامحها الشرقية، وكان عسيراً عليهم ان يصدقوا انها بنت هولندا التي اشتهرت بنسائها الشقراوات المكتنزات. وقالت ماتاهاري وهي تتذكر تلك الليلة بزهو واعتداد:

— لقد كان الرجال ينظرون الي باعجاب صارخ، وكانت النساء يرمقنني بنظرات حاسدة حاقدة. وشعرت ذلك المساء، للمرة الاولى، باني لم اخلق لاكون زوجة برجوازية تعيش في كنف ضابط متقلب الاهواء. وانما خلقت لاكون ملكة!

وابتدأ الخصام بين الزوج وزوجته، ولم يكن الضابط ليتورع عن ضربها بسوطه. ثم حدث حادث مؤثر في حياة مرغريت جرترود، فان خادمتها اغتاظت منها يوماً فسممت ابنها نورمان. فاستبد بالام الثكلى حزن شديد، ولم تنس الصغير نورمان الا عندما وضعت طفلة سمتها جان.

وحينئذ عين الزوج في جـافا ، ورحلت الاسرة الصغيرة الى الهند ، واسترسل الكابتين هناك في الشرب ولعب القمار، وكثيراً ما كان يضرب زوجته حين تأبى الذهاب الى احد اصدقـائه لتقترض له المال .

ويقول لها الزوج يوماً وهو يضحك ضحكة سكير ارعن .

— اني لا املك شيئاً من المال . وانت جميلة وفي استطاعتك ان تجدي عشاقاً كثيرين . وانا لست غيوراً . كل ما اريده منك ان تأتيني بالمال .

وتأبى المرأة الانزلاق في منحدر الغواية ، وتأخذ ابنتها وتهرب ولكن الى اين؟ ان اهلها لا يستطيعون مساعدتها ، وهي لا تحسن مهنة تحترفها . فينصحها قريب لها بأن تستغل ميلهـا الفطري الى الرقص وتفكر المرأة . لقد كانت تعجب بالرقص الديـني في المعابد الهندية، وتراقب الراقصات باهتمام، فاصبح في وسعها تقليدهن وحفظت جميع طقوسهن وتقاليدهن . وان ملامحها الشرقية تساعدها على الظهور بمظهر امرأة هندية خليقة بان تفتن الجماهير وتسحر القلوب .

وهـكذا تضافرت العوامل كلها على ان تدفعها في هذه الطريق . فاذا بمرغريت جرترود زيل تغدو ماتاهاري الراقصة الهندية المقدسة!

•

ماتاهاري يوم القي القبض عليها

وكانت الحرب سنة ١٩١٤ .

واذا بالراقصة الحسناء تغدو ممرضة متطوعة في جيوش الحلفاء .

وتقول ماتاهاري انها كانت امرأة خاطئة ، فأرادت التكفير عن خطاياها بخدمة المرضى والعناية بالجرحى وبذل نفسها في سبيل راحتهم وسلامتهم .

والحق انها كانت ممرضة مثلى تسهر الليـل بطوله وتبذل الجهد كله لانقاذ الجرحى الذين يعهد اليها بالعناية بهم، وقد قضت اسابيع عدة وهي لا تـكاد تنام او تأكل كي تتفرغ للعناية بضابط روسي يدعى ماروف فقد عينيه في احدى المعارك .

وكان هذا الضابط يردد دون انقطاع :

— ان القدر قد انزل بي ضربة قاسية اذ افقدني عيني، ولـكن الله وضع الى جانبي ملاكاً ، ملاكاً حقيقياً .

بيد ان هذا الملاك كان ينطوي على شيطـان رجيم ذلك ان الضباط الذين كانوا يعجبون بماتاهاري الممرضة ، كانوا يفتتنون ايضاً بماتاهاري المرأة ، المرأة الغريبة الساحرة ، وكانوا لا يـكتمونها ما تثيره في قلوبهم من عاطفة ، فتبتسم لهم ، وتشجعهم ، وتضرب لهم المواعيد ، وتلاقيهم تحت جنح الليل . وهناك ، بين قبلة واخرى ، كانت المرأة التي اتقنت فن ترويض الرجـال ، تنتزع من افواه عشاقها المعلومات العسكرية والخطط الحربية ، وتبعث بها الى دائرة التجسس الالمانية . وقد أدى عملها هذا الى احباط كثير من خطط الحلفاء ، والى ابادة الالوف من جنودهم !

ولم تنكر ماتاهاري صلاتها باولئك الضباط ولـكنها زعمت ان لها ميلاً خاصاً الى معاشرة الجنود والارتماء في احضانهم . ولم تنكر ايضاً رقصها عارية في بعض الحفلات الخاصة التي تضم طائفة من كبار السياسيين ورجال الجيش ولـكنها ادعت بانها لم تقم بذلك لاغراء هؤلاء ، وانتزاع اسرارهم الخطيرة ، بل قـامت بدافع الفن الذي نذرت له حياتها .

ولـكن عبثاً كانت المرأة تحاول دفع التهمة عنها ، لان جريمتها كانت مؤيدة بالادلة الصادعة .

وهـكذا سيقت ماتاهاري الى امام المحكمة العسكرية لتحاكم باشنع تهمة توجه الى انسان وهي تهمة التجسس والخيانة العظمى

وعقدت المحكمة العسكرية في باريس، في ٢٤ تموز سنة ١٩١٧، برئاسة الـكولونيل سامبرون للنظر في هذه القضية الخطيرة التي اثارت الفرنسيين وشغلت الرأي العام في العالم كله .

ودفعت ماتاهاري تهمة الخيانة بقولها انها ليست فرنسية، فاذا

صح انها اساءت الى الفرنسيين فان اساءتها لم تكن موجهة الى وطنها ومواطنيها. وتحدثت بلهجة المفكرين المثاليين فقالت انها امرأة لا وطن لها غير الفن والفن عالمي النزعة. كأن الغواية والتجسس فن!

وهرع كثير من الفضوليين لسماع اقوال المتهمة، ولكن رئاسة المحكمة لم تسمح لهم بالدخول الى القاعة، وآثرت اجراء المحاكمة سراً. فلم يطلع احد على ما قيل فيها الا من خلال التقرير الرسمي الذي حرره القومندان ماسارد ونشر فيما بعد.

وفي هذا التقرير ان ماتاهاري قد روت للقضاة سيرة حياتها منذ نشأتها حتى احترافها فن الرقص. وقد اعترفت بانها كانت بغياً ولكنها انكرت انها كانت جاسوسة، واصرت على الانكار بقوة. وحين ارهقها الرئيس باسئلته قالت انه سبق لها ان عرضت خدماتها على رئيس دائرة التجسس الفرنسية! قال الرئيس:

— نعم. لقد اقترحت على الكابتين لودو الذهاب الى بلجيكا لاعطاء المعلومات الشفهية او التحريرية لعملائنا هناك. فاعطاك رئيس دائرة التجسس الفرنسية رسالة لتسليمها الى احد عملائنا في بروكسيل، فلم يتسلم هذا العميل الرسالة الموجهة اليه، بل قبضت عليه السلطة الالمانية واعدمته.

وحاولت المحكمة احصاء الاشخاص العسكريين الذين اتصلت ماتاهاري بهم وانتزعت منهم اسرارهم، فاذا هنالك ضباط وطيارون من جميع الرتب، وموظفون كبار، واحد وزراء الحربية الفرنسية! ولم يشأ القومندان ماسارد ذكر اسماء هؤلاء الاشخاص في التقرير الذي نشر عن هذه المحاكمة!

وحين قيل للمتهمة انها كانت تقيم في فندق ريتز بمدريد، في الجناح الملاصق لجناح رئيس دائرة التجسس الالمانية، وانه قد زارها غير مرة وشوهد مرة وهو يعطيها مالاً لم تنكر ذلك وقالت ان هذا طبيعي لانه كان عشيقها، ورددت قولها مرة اخرى:

— بغي.؟ نعم! اما جاسوسة، فلا.!

فقال الرئيس سامبرون:

— ان هذا العاشق قد ابرق الى زميله في امستردام لاعطائك عشرين الف مارك، ومن الصعب الاعتقاد بان الحكومة الالمانية كانت تدفع ذلك المبلغ مقابل المتع التي ينعم بها موظفوها لا مقابل خدمات رسمية تؤدى لدائرة التجسس!

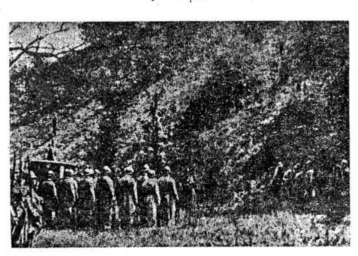
وجوبهت اخيراً بالدليل الذي لا يدحض. بتلك الرسائل التي كانت ترسلها الى دائرة التجسس الالمانية بتوقيع هـ — ٢١ والتي وقع بعضها في ايدي دائرة التجسس الفرنسية. فلم ترد على القول بانها ليست فرنسية، ولم تخن وطناً ما، لانها امرأة لا وطن لها.

وبعد استماع الشهود، وكان بينهم سفراء ووزراء سابقون وشخصيات مدنية وعسكرية كبيرة، وسماع اقوال الدفاع، اختلت هيئة المحكمة وقررت بالاجماع، اعدام مرغريت جرترود زيل المسماة ماتاهاري بجريمة التجسس لمصلحة العدو واعطائه معلومات ادت الى قتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين.

فابتسمت ماتاهاري ابتسامة شاحبة، واعيدت الى السجن في انتظار الموعد الذي سيعين لتنفيذ الحكم.

•

اعدام ماتاهاري



ولم تفارقها هذه الابتسامة الشاحبة بعد ذلك ابداً.. وتزعم المصادر التي رجعنا اليها، ان السجينتين اللتين عهد اليها بالسهر عليها، والراهبتين اللتين كانتا تعنيان بها، قد شاهدنها في الليلة السابقة لاعدامها، تخلع ثيابها، وترقص امامهن عارية.. وقالت احدى الراهبتين وهي تقص النبأ:

— لقد شاهدت شيطاناً يرقص ويتلوى، ان ماتاهاري ليست الا شيطاناً في جسد امرأة.

وفي صباح اليوم التالي، وهو اليوم الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩١٧، اعدم ذلك الشيطان الذي كان يسكن جسد امرأة!.

بقايا رماد

بقلم عبد الملك نوري

قصة

يا للزمن الطويل . وتخالج الجسد الناحل المتداعي رعدة خاطفة . . وتشد يده على دفتر المذكرات الشاوي بين مزق الغلاف ، وتتطاحن في اعماق نفسه المشاعر ، ويتململ فوق مقعده متضايقاً ، ويرسل آهة طويلة .

عامان . . منذ القى هذا الدفتر في ذلك الدرج المظلم العتيق ، عامان حافلان بالوان العذاب . والآن اعود لتدوين حياتي ؟ هل يدون حياته من يحياها ؟ لقد آن لامواج الذكريات الغـادرة ان تنحسر عن شاطىء هذه الحياة التافهة البائرة . آن للاشباح المعذبة روحي ، ان تغير مأواها ، ان تترك رأسي المسكين ، الى هـذه الوريقات البالية ، المتهرئة . ساحكم عليك ايتها الاشباح المروعة بالسجن مدى الحياة ، بين هذه الاسطر ، ووراء هذه القضبان — في هذا السجن المظلم من الذكريات . .

ويتناول قلمه — مفتاح السجن — وينتظر ، الابواب كلهـا موصدة ، وليس يبدو على الورقة خوف واحد ، البـدء عمـل شاق ، وينظر من خلال الستـائر المسدلة ، ويستوحي المسـاء ، ولكن افكاره مبعثرة شاردة ، والقلم سهوان واجم بين اصابعه ، وينتظر ثم ينهض ليدير اسطوانة عـلى الحاكي ويتمشى بين اثاث غرفتـه الضيقـة .

هاه ، هذه البقية الباقية من الشذرات الخابية ، رفات النور على سطوح المباني ، والمساء القاتم قتامة الحياة ، يعلن احتضار النهار ، احتضار الشمس الذابلة في احضان القفر البعيد ، والظلال المظلمة تزحف على الدنيا ، تطوي في عطافها كل شيء . ومع انفاس المساء تدخل هذه الاشباح المروعة من خصاص النافذة ، من شقوق الباب ، من خلل الستائر ، انه العدم يرف بجناحيه فوق العالم ، كهذا الروح الرقيق الحائر يرفرف في عالمي الصغير — روح « شوبرت » البائس المسكين ، ومعزوفته التي لم تنته ، الحياة التي لم تنته ، تضيف الى الظلال ظلالا قـاتمة ، هادئة ، ظلالا وهدوءاً للقلب الجريح . ايتها الشعلتـان المتأججتان في الوجه البدين الحبيب ، ايتها الشفتـان الغليظتان ، وخصلة الشعر السوداء المسبلة عـلى الجبين الوضيء ، ايها العزيز « بلزاك » ، انك لتنتفض من بين الظلال التي اردتهـا لقلبك الجريح ، من اعماق الهدوء الذي كافحت من اجله طوال الحياة ، وذلك الشيخ المسن برأسه الناصع ولحيته البيضاء يتكىء على كتفك ويهمس بصوت « هيغو » الحالم : الاسى قيـدوم السعادة » ها ها هاه ماذا يقول هؤلاء الحالمون الشائخون ، الاسى ؟ اي اسى فظيع ، والسعادة ؟ اي سعادة ، اسى الحياة كلها ، كقيدوم فقط ، قيدوم للسعادة التافهة ، سعادة العدم ، سعادة الابد ، سعادة القبر المظلم العميق ، آه ايها السادر في الظلمة ، ايها الضارب في البيداء ايها التابع خيـالك ، الق مشعلك يا صديقي ، القه ، ان عينيك اعتادتا الظلام .

— عيناي اعتادتا الظلام ؟ نعم . — الى اين تقودك قدماك ؟

— قدماي ؟ لا ادري . الى لا مكان . انا ادور فقط في هذه البيداء ، ولعلني اذهب ؟ . الى الحاكي ، الى الحياة غير المنتهية ، الى روح شوبرت المسكين العظيم ، انقذهـا من وخز الابرة اللعينة القاسية . . .

ويقف الاستاذ اكرم واجماً وسط بيدائه الصغيرة ، بين الكرسي الخشبي والسرير الحديدي والكتب المبعثرة عـلى الارض والجرائـد المركومة على المنضدة . تتلاشى في ذهنـه بقية من لحن ثم يخطو نحو النافذة ، ويزيح الستارة الزرقاء ، وينظر الى البيوت الصغيرة المتزاحمة في الزقاق الضيق .

قبور الاحياء ، في كل مكان ، الظلام يعشعش فيها ابداً ، الظلام البارد العميق ، كما يعشعش في صدري ايها التائه في القفر ، الق مشعلك ، القه يا صديقي . الطريق واضح رغم حلوكه ، واضح ليس سوى العدم في نهايته ، السعادة الابـدية ، لك كل ذلك يا صديقي ، ايها التائه في القفر ، مع عصاك الهزيلة المعقدة المنحوتة من احداث الماضي .

وتخالج الجسد النـاحـل المتداعي رعدة اخرى . الماضي ؟ هاه ، وهل من ماض لمن لا حاضر له ؟ مجرد فكرة

طافية على بحر الوجود، بصقة جامدة في وجه الخليقة ، جزيرة منبثقة من غيهب المجهول . آه ، كان في تلك الجزيرة بركان نابض بالحياة، انعشته امرأة. ذلك كان كل الماضي. والآن ذهبت المرأة ، وخمد البركان . لم يبق شيء ، لا جذوة تحت الرماد كل شيء اضحى رماداً . قبور ورماد ، في الظلام الابدي العميق ، ها هـا هاه ، السعادة الابدية ، سعادة العدم ، فرح الإفراح . .

وتحار في عينيه دمعتان ، وتضغط يده على زر المصباح القائم فوق المنضدة . ويتنـاول دفتر المذكرات ، ويتصفحه بنظرات شاردة ، فتقع عيناه على ختامها دوّن من سطور : « ايه . . ايتها المرأة – العين الدافقة بالخمرة الازلية . كلما نهلت منك ، ازددت ظمأ اليك – وكلما دنوت منك ، ازددت بعداً عنك . وداعاً ايتها العين، وداعاً . انا ابداً سادر في بيدائي المحرقة ، وحيداً ، حتى يلاشي الظمأ حياتي البائرة ».

ورقة الخريف ، حياتي البائرة ، حياتي الفارغة ، هـذا الظمأ القتال للعين الازلية . . للخمرة الدافقة . . الم يقتلني بعد ؟ هل ابقى شيئاً مني ؟ فضلة مني ؟ ثمالة فقط؟ آه رماد ، بل بقايا رماد . ايتها المرأة ، ايتها المخلوقة الشريرة ، اظفارك الملطخة بدماء قلبي ، تعبث ابداً بهذا الرماد ، ببقايا الرماد ، اليك عني ، ايها الشبح المخيف، انا اريد الخلاص النهائي . الخلاص منك ، الخلاص الحاسم السريع ، بانكار ارادة الحياة ذاتها انكاراً سريعاً كلمح البرق ، ينبعث من لهيب الالم المطهر .

وبسرعة البرق يندفع الاستاذ اكرم الى خارج غرفته، باحثاً عن « الخلاص » في ظلام الطرقات .

ويهيم الاستاذ نحواً من نصف ساعة ، منطلقاً من زقـاق الى زقاق ومن شارع الى شارع ومن رصيف الى رصيف ، فيعـاود نفسه بعض الهدو ، وتخبو ثورته ، وتثقل خطاه ، ويأخذ بملاحظة محيطه بعين مدركة وذهن صاح .

عميق هذا السكون . والليل المظلم يجوس صامتاً كشبح غير مرئي ، يلف بوشاحه الاشجار والمباني والحقول الخضراء . . الى آخر هذا الطريق ، ثم ينحدر مع النهر المتمتم اغانيه الساحرة الى البحر الصاخب اللجي . آه ، ايها الليل ما اعمقك ، ايها الليل الشاعر الزاخر بالالم والحب والزفرات . في هدوئك العميق يهمس المحبون قلوبهم كيوبد ، ذلك الصبي المراح يخفق باجنحته في كل مكان، ويضم الاحبة شديداً الى قلبه الدافيء الحنون . آه كان لي ذلك يوماً ، ذلك الدفء ، ذلك العالم الشعري اللذيذ . كنت احسه بكل جزئية من كياني ، بين ذراعيها ، في احضانها ، يوم كانت كل شيء لدي ، اوه ، ذاك ايضاً قد يتصور انها كل شيء . لديه ، ذلك المعتوه الذي يعانق فتاته خلسة ، انه يجرها الى الظلال القاتمة المظلمة ، كاللصوص . وقد يظن انه سيموت الما اذا ما عبست في وجهه . ها ها هاه ولكني لم امت ، انا حي ، انشق ارج الحياة بل رئتي ، اف اف ، وهذا التراب الذي تثيره سيارة معتوه آخر يحتضن امرأة . . آه كيوبد ، انك في كل مكان . وحتى هذه الاعين المضاءة في جبهات الدور ، قد اسبلت عليها يداك الخبيثتان اجفانها الكثة ، آه ، يا لعين ، من يدري كم من الاحبة يتعانق وراء هذه الستائر المسدلة . كم من زوج يداعب زوجته ، كم من قبلة تقطف وتذبل وتموت في هنيهة قصيرة، كم من صدر يطلق تنهيدات الحب ، كم من معتوه يتوسد صدر امرأته، كم من يد يرعشها الشمل في ظلمات شعر الحبيب . وكم من عين تومض حباً ونشوة وحياة . آه ، كان لي كل ذلك حيناً ، الحب والحياة والنشوة الخالدة . اين ذهب كل هذا ؟ اين العش الذي حبكته ، الحياة التي انشأتها ، المرأة التي احببتها . ؟ لمَ تداعى كل ذلك وانهار ؟ ايتها اليدان المجرمتان، الشريرتان، لقد قضيتما على كل شيء ، لم يعد في حياتي شيء . .

ويحدق ملياً في يديه الراعشتين ، بعينين مخاصتين ، وتمر ابتسامة مريرة على شفتيه ، وتتعاقب في ذهنه فصول من ماضيه :

– اليوم قائظ جداً ، اكرم – نعم ، حبيبتي .

– اريد . . . قبلة تبل اوامك ؟

– قبلة وشيئاً آخر . – هاك القبلة ، الآن .

– اوه ، عضضت شفتي . هذه ستشفيها .

– كانت لذيذة حقاً . والآن ، سلمى ، ما هو الشيء الآخر ؟

– اوه ، فقط اردت ان اتخلص من هذه الجوارب ، فهل لا تزال . . ام ؟

– ماذا ؟ – اما توافق ان اخلعها ؟

– لا ادري – ولكن كل النساء يخلعنها في الصيف .

– اذن لم لا تفعلين مثل كل النساء .

– اوه ، عزيزي ، حبيبي .

وفي ظلام الليل تهمس في اذنه :

– ادن مني يا حبيبي ، ادن مـني ، نعم هكذا ، هـكذا ، ضع ذراعيك حولي ، وهبني شفتيك العذبتين . ولما يدنو منها ، تسقط يده صدفة على ساقها المتجردة العارية وتبدو له اعين شريرة نهمة تحدق في تلك الساق ، ومئات من الاشباح والاطياف تتشبث

بزوجه وتباعد بينه وبينهـا ، فينبعث في اعماق نفسه شعور مروع مبهم ، وتعذبه صرخة حـادة تدوي في قلبه الجريح زمناً طويلاً « انت غريبة عني .. غريبة .. غريبة .. اليك عني » .

وتحتج سلمى بدلل : كانت باردة تلك القبلة اكرم هات واحدة اخرى .

ثم تحتج بشدة : وهذه ابرد من تلك، ما خطبك الليلة، اكرم؟

— لا شيء . — بل انك تخفي عني اشياء .

— ابداً . — قل لي الحقيقة اكرم ، انا لا اخشى الحقيقة .

— اي حقيقة ؟ — هل اصبحت تملني ؟

— فكرة غريبة .

— اذن ، كيف تفسر جمودك ، انك مجرد جثة الليلة .

— لا ادري ، صدقي ، انني لا ادري .

ويعييه التفسير ، فيدير ظهره لزوجته ويحاول النوم ، والصرخة ما تزال تدوي في قلبه . « انت غريبة .. غريبة » .

***

طبقة وردية رقيقة من احمر الشفاه ، تنتشر بلين فوق الشفتين المكتنزتين، وتقضي دقيقة في صمت، ثم تهمس الشفتان الورديتان برقة :

— لم تنظر الي هكذا ؟ انك تفترسني بعينيك .

— احب ان افترسك يا حبيبتي، احب ان اجعلك لقمة واحدة، وانتهى منك .

— اجائع الى هذا الحـد ؟ انتظر دقيقتين . وسيكون العشاء جاهزاً .

— انت عشائي يا حبيبتي ، انت طعامي المحبب اللذيذ .

— اوه ، نسيت ان اقول لك ان جميـل سيأخذنا الى السينما بعد العشاء . — كيف علمت ؟ — لقد اخبرني هو .

— متى ؟ — هذا الصباح ، مر خطفاً قبل ذهابه الى الدائرة .

— كان ايسر له ان يخابرني من دائرته .

— لقد جاء ليأخذ كتابه ايضاً . الا تذكر انه نسيه هنا الليلة الفائتة ؟ — اني اذكر فقط ، انه اصبح ضيفاً دائماً في هذا البيت .

— وهل في هذا ما يضير ، انه صديقك الحميم .

— آه ، نعم نعم ، بلا شك .

***

القمر الوضيء يشعشع الطريق القفر . سلمى متعلقة بـذراعه تضمها بشدة الى صدرها الدافيء ، والاستاذ مطرق يتأمل، وعند عتبة البيت تضطرب شفتاه :

— كانت رواية عظيمة ، حقاً

— القصة بسيطة ، ولكن الممثلين عظام .

— الحق ان شارلس بوير ممثل عبقري .

— نعم اني احبه ، احبه جداً . انه يتقن على الخصوص الادوار العاطفية الحارة .

— صحيح . ولكن ماذا قلت الآن ؟ انت تحبينه .

— نعم ، كما تحبه انت وبقية الناس، اعني اكثر من اعجاب.

— ظننت انك تقصرين كلمة « الحب » علي فقط .

— حسناً حبيبي ، من الآن فصاعداً .

وعندما تدعوه في ظلام المخدع تبدو له مئات الاشباح والاطياف تحتضنها وتتشبث بها ، من كل جـانب ، ويبدو له شارلس بوير نفسه يحاول تقبيلها ، فتخالج جسده رعدة باردة ، ويعذبه شعور مروع مبهم زمناً طويلاً .

هي تتكلم بخفة ولباقة . فما العنـابي الصغير يشرق فتوناً ، وعيناها تومضان بشعاع غريب . كل معارف وجهها الجميل ، كل اجزاء جسدها الفاتن تتكلم بحيوية وانطلاق . وهي ، بكل كيانها بكل ما فيها من فتوة وشباب تتجه نحو جميل . وجميل لا يكاد يعي شيئاً مما حوله ، بل لا يكاد يرى شيئاً في وجهها ، غير ذلك الينبوع العنابي الصغير الدافق بسيل من العبارات اللينة الحنون .. انه لا يرفع نظره عن فمها ، ولا يكاد يصغي الى شيء من حديثها : او الى تقصف الفرحة في قلب الاستاذ اكرم .

— تعالي حبيبتي ، كوني صريحة معي . فلو ان جميلاً قد خطبك قبلي ، فما عسى ان يـكون جوابك ؟ .

— كنت ارفضه ولا شك . — ولكن لماذا ؟ جميل شاب ظريف انيق ..

-- اوه ، اكرم ، لم تحاول ان تضايقني دائماً . انك تتكلم كما لو لم نكن نحب بعضنا قبل الزواج .

— لا تغضبي حبيبتي . اردت فقط ان اداعبك .

— ليتك داعبتني بقبلة ، منذ اجيال لم تقبلني .

— آه ، صحيح ، هاك قبلات . ويمد ذراعيه ليحتضنها ويدني وجهه من وجهها ، ولـكنه يحس احساساً غريباً شاذاً ، وقبل ان تلتصق شفاهها ، يتسلل جميل ، ويلصق شفتيه بالفم العنابي الصغير فتهبط ذراعا الزوج الى جانبيه ، ويشيح بوجهه عنها ، وفي اعماق نفسه تدوي صرخة حادة : « انت غريبة عني .. انت غريبة . انت غريبة » . •

عيناها دامعتان ، وصوتها يرتعش :
— اكرم ، هل ستظل ابداً مجنوناً ؟ — لا ادري .
— الى متى سنحيا في مثل هذا الجحيم ؟— لا ادري .
—انا لا أستطيع ان احتمل طويلاً هذه الحياة التعسة —هذا حق .
— ذرفت من الدموع في هذه الاشهر الثلاثة من زواجنا ، اكثر مما تذرفه اي امرأة اخرى طوال حياتها .
— صحيح .
— لقد جعلتني امقت الحياة ، وامقت كل شيء ، انا التي كنت فرحة متفائلة بالحياة
— نعم .
— لمَ ورطتني بحبك ، ثم بهذا الزواج، وانت تعلم انك مجنون؟
— ذلك لاني احبك ، لاني اعبدك . — ولكنك تحيل حياتي الى جحيم .
— انا اعترف . — حسناً ، ما العمل ؟
— اني ارى الحل الوحيد هو ان نفترق .
— نفترق ؟آه . . دائماً هذه الكلمة على لسانك . ذلك بدلا من ان تفكر في تغيير سلوكك انت الذي تعبدني، ها ها هاه .
— ارجوك ، لا تطعني باخلص عواطفي .
— اكرم ، انت تدهشني . انت مجنون ، انت تماماً مجنون .
— نعم ، قد اكون .
— انا ذاهبة مع جميل واخته ماري لنشتري لها ثوب العرس .
— لا بأس ، حبيبتي . — الا تأتي معنا ؟
— لا .
ولكني فكرت ان نتناول العشاء بعدذلك في احد المطاعم .
— انا لا احب المطاعم سلمى ، انها مزدحمة مزعجة . اني اختنق في الزحام .
— آه لم تحقق لي يوماً رجاء .
— هل تظنين اني اتعمد ذلك ؟ انا فقط اكره الزحام ، ذلك من طبعي .
— ان طبعك المنكر سيحطم حياتنا يوماً . — ربما .
— افتحي الباب سلمى ، ارجوك افتحي الباب .
— لن افتح
— لا تعامليني هكذا ، سلمى . افتحي باب الغرفة حبيبتي .
— آه لا تضايقني ، اذهب ، لا اريد ان اسمع توسلاتك بعد تلك الاهانات .

— أي اهانات ، سلمى ، افتحي الباب ، ساشرح لك كل شيء .
— لا كلام بيننا بعد الآن .
— انت مخطئة ، سلمى ، انت مخطئة .
— اوه . لا تضرب على الباب . اغرب عني ، لا اريد ان ارى وجهك بعد الآن .
— بهذا تجزين حبي ؟— حبك ؟هه! جنونك وافكارك السقيمة .

***

— آه ، سلمى ، انا لا اصلح للحياة على هذه الارض ، انا انسان غير طبيعي ، وان اتفه الامور تخرجني عن طوري .
— اهدأ حبيبي ، اهدأ ، تعال ضع رأسك على صدري .
— انك ملاك ، سلمى ، اني اطلب اليك شيئاً واحداً فقط .
— اي شيء ، حبيبي ، اي شيء تريد . . اني اضحي حياتي كلها لمجرد . . .
— لا ، حبيبتي ، لست اريد ان اكلفك شيئاً غالياً كحياتك .
— ماذا تريد اكرم ؟
— حياتي . حياتي فقط ، اريد ان اتخلص منها . انا شقي جداً ، سلمى ، انا اشقى الناس .
— تعني ، انك تريد الانتحار ؟ — نعم .
— اذن انت لا تفكر في مصيري .
— بل انا اريد ذلك من اجلك يا حبيبتي كي انقذ حياتك من وجودي المشؤوم ، انا مصدر الشقاء والكدر في حياتك .
— وانت كذلك مصدر سعادتي . انا احبك ، اكرم ، كيف استطيع ان احيا بدونك ؟
— اوه ، سلمى ، لم لا توافقين ؟ انا لا اخشى الموت من اجلك ، من اجل راحة قلبك وصفاء حياتك . الموت وحده ينهي جميع التناقضات .
— اي تناقضات ، تعال ، تعال حبيبي ، كفى ثرثرة . هات هات الشفتين اللتين تلفظان هذه الامور المخيفة ، ودعني اقطر بينهما رحيق حبي .
— هذه السيارة مزدحمة ، سلمى ، فلننتظر الاخرى .
— لا بأس . — اوه ، هذه ايضاً مزدحمة .
— كل السيارات مزدحمة في هذه الساعة . اكرم . الناس يعودون الى بيوتهم .
— اذن . — يجب ان نستقل السيارة التالية ، مهما كلف الامر .
— ولكن الزحام ، الزحام . —وما ضرر الزحام ؟

— انني اختنق في الزحام . لن استطيع ان آخذ نفساً واحداً .
— انها دقائق معدودة ، اكرم ، لا تتصرف كالاطفال .
— آه ، سلمى آه . .
— لم اثرت كل تلك الضجة ، اكرم ، الم تستح من الركاب؟
— ولمَ استحي ؟ — كنت اظنك انساناً خجولا .
— صحيح ، ولكني لم استطع ان اضبط نفسي ، ان ذلك الوغد قد الصق جسده بك بصورة فظيعة ، ومد ذراعه وراء كتفك .
— ولكني لم احس بها . — انا احسست كل شيء .
— لعله لم يكن سيء النية ، كما تتصور . لقد كانت السيارة شديدة الازدحام .
— ربما ، ولكني لا استطيع ان اخرج وجهه من دماغي . اتمنى لو انني قد حطمت رأسه .
— الا يكفي انك قد حطمت حياتي . ؟
— اوه ، ليس في يدي ، ليس في يدي .
— اكرم ، دع الكتاب جانباً ، حبيبي ، قم غير ملابسك ، لنخرج .
— الى اين ؟ — الى عرس ماري .
— الليلة ؟ — نعم نسيت ؟
— لم انس فقط ، بل ارتبطت بموعد ايضاً مع صديق .
— تستطيع ان تؤجل الموعد ، حبيبي .
— ليس بمقدوري . . — اوه ، اكرم ، دائما تخيبني .
— انا متأسف يا عزيزتي ، يجب ان تذهبي بمفردك .
— نعم ، انا ذاهبة ، انا ذاهبة وحدي . لا اريد ان اعيش في عزلة دائمة ، انا لا استطيع ان احبس نفسي مثلك في خزانة كتب . اريد ان اذوق كل متع الحياة انا شابة ، انا انسان .
— حسناً ، حبيبتي ، يمكنك ان تنالي كل متع الحياة ، ولكن بدون حضوري ، انا رجل عزلة ، انا اكره المجتمع ، انا اخشى الزحام .
— انت شاذ ، انت مجنون .
— شاذاً او مجنوناً ، اتمنى لك ليلة سعيدة زاخرة بمتع الحياة ، وارجو ان يعينك جميل في الحصول على هذه المتع — متع الحياة المجنونة الملونة .
— جميل افضل منك بكثير . ساراقصه حتى الصباح .
— ها ها هاه ، حتى الصباح ، حتى الصباح ، تعال يا ولد املأ كاسي بالويسكي ، اريد ويسكي ، اريد ويسكي . اريد .
— ولكنك شربت كثيراً ، استاذ .
— ليس هذا من شأنك . اريد ويسكي ، قلت اريد ويسكي حتى الصباح ، نعم حتى الصباح . . ه . . . هي ترقص حتى الصباح ، انا اشرب حتى الصباح . ها ها هاه . هو يعتصرها بين ذراعيه . انا اعتصر هذه الكأس . الكأس العزيزة اللذيذة ، حتى الصباح ها هاه . لم تنظر الي هكذا ؟
— انك ثمل ، استاذ ؟
— انا لست ثملاً ، اذهب من هنا ، اغرب عني . اريد ويسكي اريد ويسكي ، لا تنظر الي هكذا ، انك تفترسني بعينيك . اوه . انت طعامي ، طعامي المحبب اللذيذ ، احب ان اجعلك لقمة واحدة وانتهي منك ، اريد ويسكي .
— اليك الويسكي ، استاذ .
— ها ها هاه ، قلت اني ثمل؟ نعم انا ثمل . هي ايضاً ثملة ، اقسم لك اقسم لك بكل شيء : انها ثملة ، بغير الويسكي ، بالحياة ، بمتع الحياة ، انها شابة ، انها انسان . اتفهم ؟ انه يطوقها بذراعيه انه يضغط بصدره على صدرها ، ويجده على خدهـا ، بيده على خصرها ، اوه انه يضغط ، يضغط يضغط ، النذل ، الوغد ، الخائن .
— هل اوصلك الى البيت ، استاذ ؟
— آه ، لا ، لا ، انا لا املك بيتاً . خذني حيثما شئت . انا وحيد ، انا شقي ، مجنون ، مجنون مجنون
— عودي اليه ، اسرعي عودي اليه . لم اتيت الى هنا . انا اسألك لم اتيت ؟ اذهبي اليه ، لا تلمسيني ، لا تتعلقي بي . انت غريبة . انا لا اعرفك لماذا اتيت؟ اذهبي الى احضانه ، تمتعي بالحياة بالشباب ، بالاثم ، اليك عني ، اليك عني ، لا تلمسيني .
ويدفعها بقوة ، فتسقط على الارض .
وتلك آخر لحظات حياتها الزوجية .
لقد دقت الساعة خمساً ، وطلع الصبح وضاحاً ينتفض من المشرق . واخذت الديكة تتصايح في الارجاء البعيدة .

***

وفي الظلال المعتمة ، يحدق الاستاذ اكرم ثانية في يديه الراعشتين ويتمثل هنيهة وجهها هي ، وجهها الجميل الصارم ، وشفتيها المكتنزتين تقولان له ، وترددان مراراً : « ان طبعك المنكر سيحطم حياتنا . فيجيبها : « اجل . . اجل . . اجل . » ويظل شطراً من الطريق يردد هذه الكلمة بغير وعي ، ثم يعود الى غرفته ، حيث يجد في انتظاره الظلام وبرد الوحدة واشباحه . ويختطف دفتر المذكرات البالي بحركة سريعة ويقذف به في الدرج الخشبي المظلم ، ويتنفس بارتياح .

بغداد — عبد الملك نوري

هروب

الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

نابلس

كرهتِ حقائق دنيا الورى وهمتِ بأوهام دنيا الخيـال
فما يتصبّاك الا الرؤى وسحر الطيوف وسحر الظـلال
متى يا ابنة الوهم تستيقظين متى ينجلي عنك هذا الخبال
افيقي، كفاك، لقد طال مسراك عطشى وراء سراب الرمال

***

تعيشين في ذهـلة الحالمين بعيداً بآفـاق كون عجيب
ويلاً روحك في قيـده حنين المشوق وشجو الغريب!
ومن فلك الارض كم تطلقين خيالك فوق الفضاء الرحيب
يجوز مدار النجوم ويمعن في اللانهـايات، عبر الغيوب!

***

قفي، أين تمضين، فيمَ اندفاعك، من ذا ترين بأفق الشرود
وما هذه؟ رجفة في كيانك ممـا تشد عليه القيود..
تمرّد روحك في سجنه يريـد يحطم تلـك السدود
ليسمو طليقاً خفيف الجناح وراء الزمان، وراء الحدود!

***

قفي، اين تمضين؟ من ذا ترين هنالك عبر الفضاء المظلم؟
وماذا يشوقك؟ ام من ينادي ويومىء من شرفات السديم
تمر أمـامك هذي الحياة مواكب مختلفـات الرسوم
فتلوين وجهك لا تنظرين وفي مقلتيك ظـلال الوجوم!

***

ألا كم تهيمين في عـالم تنـاءى بعيداً بعيداً مـداه
وفي عمق روحك شوق ملحّ جموح لظـاه، عنيف ظماه
تراك هنالك تستلهمين السموات سرّ الردى والحيـاه!؟
تراك هنالك تستطلعين خفـايا الوجود وكنه الاله!؟

***

السمتِ من الارض، فيمَ انخطافك؟ فيمَ انجذابك نحو الاعالي؟
أأنكرتِ في الارض هول الفنا، وظلم القضاء، وجور الليالي!؟
تراك افتقدت جمال العدالة فيها، فهمت بأفق الخيال..
محيّرة والهاً تنشدين الحقيقة في غامضـات المجـالي!

***

أراعك في الارض سيل الدماء وبطش القوى والرزايا الكُبَر؟!
اراعك فيها شقـاء الحياة أراعك فيها صراع البشر؟!
أمن صرخات القلوب الدوامي تعضّ عليها نيوب القدر
تلوذين في لهف ضارع بكون تسامى نقي الصور!؟

***

بلى، هي هذي المآسي الكبار تعذب فيك الشعور الرقيق
فتنأين عن واقع راعب الى عـالم عبقري.. سحيق..
ويمضي خيالـك مستغرقاً هنـاك بتهويمه مـا يفيق!
هو الوهم، عالمك الشاعري، المثالي، مسرى الخيال الطليق
توحدتِ فيه بأشواقك الحيارى.. بهذا الحنين العميق!.

بقلم الاستاذ فارمر

صناعة الموسيقى في الف ليلة وليلة

ترجمة حسين نصار
ليسانسيه في الآداب

« في الزوايا خبايا » مثل عربي

●

اخيراً يجب علينا ان نتناول الموسيقى لذاتها بعد ان ناقشنا كل احوالها الاخرى في « الليالي » . ونرى في هذا البحث ناحيتين، اذا اتبعنا الطريقة العربية المرضيّة ، اعني الناحيتين النظرية والعملية ، اللتين تعطيانا علم الموسيقى وفنهـا ، اللذين لم يفهمهما كبار الثقات الذين كتبوا عن « الليالي » الى درجة كبيرة.

فقد انهمك لين ، الذي يوضح معظم مسائله ، في ذلك الرأي السخيف ، الذي يردده كثيرون ، ذلك الرأي القـائل بأن السلم العربي تألف من « تقسيم النغمات الى أثلاث » ، وقد دوّن هـذا الرأي في كتـابه « المصريون المحدثون » . ولا نستطيع ان نلقي كثيراً من اللوم على اكتاف المستشرق العظيم بسبب هذا الخطأ، اذ ارتضاه المتخصصون امثال فلوتو Villoteau وفيتس Fetis وغيرهما ممن لن اذكر. اما ما كان في ذهن هؤلاء الكتاب جميعاً فهو نظرية « المدرسة المنهجية »Systematist School التي لم يستطيعوا فهمها.

فقد وجدت ثلاث مدارس فكرية متمايزة في علم الموسيقى خلال الفترة التي تناولتها « الليالي » وكان السلم في جميع الاحوال فيثاغوري الاساس . والمدارس الثلاث هي :(١) المدرسة العربية القديمة (من القرن السابع الى العاشر)،(٢) المدرسيون (شراح الفلسفة الاغريقية) (من القرن التاسع الى الثالث عشر) ، (٣) المدرسة المنهجية (من القرن الثالث عشر الى السابع عشر) واخطأ لـين والآخرون في فهم سلم المدرسة الاخيرة واعتبروه « تقسيما للنغمات الى اثلاث » على حين كان « الطنين» مقسما بالفعل الى ثلاث فترات متتالية من ٢٤٣ : ٢٥٦ ، و ٢٤٣ : ٢٤٥ ، و٥٤٢٨٨ : ٥٣١٤٤١ . ومع ذلك لا تذكر « الليالي » هذه المدارس ، ولا تذكر « اصعب العلوم الرياضية » على صفحاتها الفسيحة، اذا اغضينا النظر عن ادعاء «تودد» بأنها تعرف كل ما يتصل بفن الموسيقى . ولذلك ليس من الغريب ان يسأل العلماء والفقهاء القينة الفخور عن جميع العلوم تقريباً لمعرفة علمها الذي افتخرت به، على حين لم تبذل اية محاولة لاختبارها في فن الموسيقى . فنحن اذن لسنا في حاجة الى تكليف انفسنا مشقة البحث في هـذا الموضوع المعقد ، اذ لم تناقشه « الليالي » كما قد رأينا ، فيما عدا ملاحظات لين .

ولكن النظرية العملية اهم من النظرية العلمية ،لان مصطلحات هذا الوجه من الموسيقى تظهر في « الليالي » في كثير من صفحات حكاياتها، بل تفوق الصفحات التي تذكر فيها المصطلحات الصفحات الخالية كثرة، مما يبعث الاضطراب الى القارىء العربي، وان كانت الترجمات الاوربية لا تحيرنا في اي مصطلـح ، لان المترجمين اولوا معظمها تأويلاً مرضياً ان لم يكن حسناً . ولهذا السبب ليس من المبالغة ان نقول ان المشكلة تستحق من التفكير اكثر مما منحت، ذلك الامر الذي دل عليه استحسان برتون المفرط لملاحظة واحدة اثارها باين عن الموضوع ، على حين لم يمنح لين هذه المشكلة ، التي كان ينبغي ان تدفعه شهرته كلغوي الى تناولها ، لم يمنحها لين سطراً واحداً له قيمته .

ومع ذلك ينبغي ان نسلم بان المصطلحات الموسيقية للنظرية العملية ، كما تظهر في « الليالي » ، صعبة عـلى الادراك . ويرجع كثير من الحيرة الى الاستعمال المبهم للالفـاظ ، ولكن المرء

يستطيع عادة أن يرجع الصعوبات التي يصادفها الى الأسباب التالية :

(١) ليست العبارات الاصطلاحية متحدة المعنى على الدوام بسبب اختلاف عصور تأليف الحكايات ومواطنها .

(٢) لعل المترجم يستطيع ان يجد الكلمة العربية اللائقة في تلك الحكايات المترجمة عن اللغات الاخرى .

(٣) يجب ايضاً ان نعد جهل الكاتب او الراوي من اسباب هذه المصطلحات المضطربة .

ولما كان واضعوا النظريات الموسيقية العربية تناولوا الموسيقى منذ قديم الزمن على انها مؤلفة من قسمين اساسيين : اللحن ، والايقاع ، يظهر من المستحسن ان نتبع طريقتهم تلك . وكلمة « لحن » هي الكلمة العربية المقابلة لكلمة « melody » عادة ، وتستعملها « الليالي » بهذا المعنى ، وان كانت منحت كلمتي الغناء والمغنى هذا المعنى في موضوعين . وقسمنا الثاني هو الايقاع ، المعروف عادة باسم « rhytm » ، وان لم تستعمله « الليالي » . وكذلك يمكن ان تشير كلمتا « ضربات » و « حركات » الى الايقاع .

والموسيقى في « الليالي » اما غنائية او آلية ، كما هو الحال في الكتب الاخرى . وتستعمل « الليالي » كلمة « صوت » بمعنى « قطعة غنائية » اما غنائية او آلية ، وبهذا المعنى يستعملها كتاب الاغاني ايضاً . وتطلق كلمة « الغناء » في اللغة العربية عادة على « عملية الغناء » و « الاغنية » . فهي اذن عامة ، على حين تنطبق الكلمات الخاصة مثل « انشودة » و « ترتيل » على « الاغنية الايقاعية » و « الاغنية غير الايقاعية » خاصة . ونقرأ ان المغني « غنى » او « انشد » . ويقال عن « الآلاتي » عادة انه « ضرب » او « طرب » او « عمل » او « قلب » آلة هي « العود » في « الليالي » عادة .

ولكن يجب ان يعترف المرء بان استعمال كلمتي « انشد » و « غنى » مضطرب في الغالب ، وان افترضت ان الاخيرة عامة والاولى خاصة . ويظهر انهم كانوا يعنون في بعض الاحيان نوعين متمايزين من الموسيقى الغنائية . ولنأخذ مثلاً فقرة من حكاية علي ابن بكار وشمس النهار : « امر جارية من الجواري ان تغني فأخذت العود واصلحته وجسته وضربت به ثم انشدت تقول شعراً » . فيبدو في هذه الفقرة ان الانشاد هو الغناء . ومن ناحية اخرى يقال في نفس الحكاية ان الجواري « يغنين وينشدن الاشعار » مما يجعلنا نظن ان الانشاد والغناء ليسا شيئاً واحداً . وللمرة الثانية قد نعزو هذا التعارض الى جهل الكاتب او الراوي ، او اهماله .

وكانت الموسيقى العربية في عصر « الليالي » الذي يمتد قروناً عدة تسير بحسب سلم معروف كحالها اليوم . وينطبق هذا الوصف على اللحن والايقاع كليهما . وكان اللفظ العام الذي يقابل كلمة « mode » عند الاوروبيين ، اللحني منه او الايقاعي ، هو « الطريقة » (الجمع : طرائق) او « الطرقة » (الجمع : طرق) وكان لين يرى ان كلمة « طريقة » اخذت هذا المعنى متأخرة بعد العصور القديمة « الكلاسيكية » ولكن استعمالها في كتاب الاغاني والكتب الاخرى يعارض هذا الرأي ، اذ تطلق هناك على « الطرق » اللحنية والايقاعية .

ونجدهم يذكرون احدى وعشرين ، واربع وعشرين من هذه الطرائق او الطرق مؤداة الواحدة بعد الاخرى ، وان كنا لا نستطيع ان نوقن : اذا كانوا يشيرون الى الطرائق اللحنية او الايقاعية ، الا في موضع واحد ، في حكاية اسحاق الموصلي والتاجر حيث يقال عن احدى القيان « غنت طرقاً شتى بألحان غريبة » .

ثم لدينا اللفظ الذي يشير الى الصورة الموسيقية ، اعني : النظام او الاسس ، التي تؤلف وتعزف عليها الموسيقى . فيقال لنا ان احدى الموسيقيات البارعات « ضربت عليه (العود) احدى عشرة طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى » ذلك العمل الذي ربما كان يشبه ما يسمى عندنا rondo [1] شبهاً كبيراً .

ويميل المرء في بحثه عن الآثار التي تساعده على التغلب على العراقيل والوصول الى حقيقة الاشياء ، يميل الى ان يصنف الطرق التي « تطرب » في الطرق اللحنية ، والتي « تضرب » في الايقاعية ، ولكننا لسنا على يقين من ذلك التمييز ، لانه من السهل جداً على الناسخ غير المدقق ان يخطئ في قراءة كلمتي « طرب » و « ضرب » فيحرفها . ولكننا نستطيع في بعض المواضع المتناثرة ان نميز الموضع الذي يشيرون فيه الى الطرائق اللحنية ، ولو لم توجد كلمة « طريقة » . مثال ذلك في « حكاية ابراهيم بن المهدي والمزين » التي تقول ان احدى المغنيات « اطربت بالنغمات » . وتقول عبارة ثانية في « حكاية محمد الامين والجارية » ، « غنت بأطيب النغمات » . وتوجد اشارة ثالثة في « حكاية ابي الحسن وجاريته تودد » اذ يقال ان توددا « ضربت عليه (العود) اثني عشر نغماً » . وقد الفت كل هذه الحكايات في « العصر الذهبي » للاسلام ، في وقت كانت تقف فيه كلمة « نغمات » (المفرد :

(١) تطلق هذه اللفظة على قطعة موسيقية يتكرر فيها اللحن الاصلي عدة مرات .

نغمة) موقف كلمة « notes » في الانكليزية ، بينما كانت كلمة « نغم » (المفرد : نغم) تعني لحن « melody » ولم تصبح كلمة « نغمات » بمعنى كلمة « طرق modes » الا بعد ذلك بكثير ، اي بعد القرن الرابع عشر يقينا ، وان كان من الواجب ان نتذكر ان الكلمتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، كما نعرف من الكلمة الاغريقية « Tovol » التي تعني « انغاماً notes » و« طرقاً modes » . ويظهر لي ان الكاتب او الراوي استعمل في هذه الحكايات وما شاكلها ، مادة قديمة ، ولكنه صاغها في الفاظ اكثر حداثة وجدة .

ومن المحتمل ان تكون الاشارة في « حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده » الى المغنية التي « غيرت الضرب » او المغنية الاخرى في « حكاية اسحاق الموصلي والتاجر » التي « احكمت الضربات » او السيدة التي « ضربت عليه (العود) بأحسن حركاتها » في « حكاية علي نور الدين والجارية مريم » موجهة الى الطرق الايقاعية .

ويواجهنا الآن السؤال التالي : لماذا تطلق عدة اسماء على الشيء الواحد ؟ وقد وضحت الجواب بعض التوضيح ، ولكن يجب ان نصر على ان كلمتي « طرائق » و« وطرق » قديمتان وليستا حديثتين ، على الرغم من ذهاب لين الى خلاف ذلك . فقد وردتا في قصص يمكن اعتبارها جد قديمة ، واننا لنعرف ان كلمة « طرق » (الجمع : طروق) كان لها معنى مشابه عند الليث بن المظفر (القرن الثامن) وبقيت حتى عصر « تاج العروس » . اما كلمتا « نغمات » و« ضربات » بمعنى الطرق اللحنية والايقاعية فتأخرتان ولا تزالان شائعتين في مصر .

وكان لكل هذه الطرق اللحنية والايقاعية اسماء خاصة ، توجد قوائمها في كتب اخرى . ولكن « الليالي » لا تذكرها ، فيما عدا مقطوعة صغيرة تشير الى الايقاعين الثقيل والخفيف في « حكاية خليفة الصياد البغدادي » . وهاك المقطوعة :

أيا ذا الطار قلبي طار شوقاً ويصرخ من جواه وانت تضرب
فلم نأخذ سوى قلب جريح عليَّ توقيعك الانسان يرغب
فقل قولا ثقيلا او خفيفا ولحن ما تشاء فأنت تطرب
وطب واخلع عذارك يا محب وقم وارقص وهل واعجب وعجب

ومع ذلك قد لا يكونان اسمين للطرق الايقاعية بالفعل ، وانما يشيران الى الضربات الثقيلة او الخفيفة في الايقاع ، او كما يسميها صاحب الدف العربي الحديث « ضربات التم » او « التك » .

وليست صور الموسيقى الغنائية كثيرة في « الليالي » . وانما يستعملون عادة « القطعة » ، فيستخدمون بيتين او ثلاثة في العادة تؤلف ما يسمى « التتفة » في الغالب . وربما كان سبب استعمالهم البيتين ان القاعدة في الموسيقى الغنائية عندهم وجود عبارتين موسيقيتين ومن الطبيعي انهم استعملوا في بعض الاحايين صوراً طويلة . وكان يصحب معظم المقطوعات الغنائية عادة « بشرو » (مقدمة آلية) و« ختم » (خاتمة موسيقية) ، وان كانت « الليالي » لا تذكرهما وانما تشير طبعاً الى الاغنية التي يصاحبانها .

ولا توجد اشارة الى صورة خاصة من الموسيقى الآلية في « الليالي » . والاشارة المحددة الوحيدة الى ما يشبه ذلك توجد في « النوبة » التي يرد ذكرها مراراً . وكانت هذه النوبة الجوقة الغنائية والآلية القديمة الوحيدة عند العرب . وقد لاحظنا من قبل ان اللفظ كان يطلق على الفرقة العسكرية ، لانها هي التي تؤدي النوبات الخمس اليومية . واطلق لفظ « النوبة » على موسيقى الغرف لنفس السبب . فقد كان لموسيقى البلاط في عهد الخلفاء العباسيين الاولين ساعات وايام خاصة لحفلاتهم ، وتشير « الليالي » الى ذلك حين تعين احدى المغنيات ليوم الثلاثاء . وكانت هذه النوبة هي التي اسبغت اسمها على الموسيقى التي تعزف في تلك المناسبات .

ونقرأ في « الليالي » عن غناء « نوبة كاملة » و« نوبة مطربة » وقد اخذت هاتان الاشارتان من حكايتين قديمتين ، هما « حكاية خليفة الصياد البغدادي » و« حكاية ابراهيم بن المهدي واخت التاجر » ، ومن الحق ان الاشارات التالية في حكايتي « علاء الدين ابو الشامات » و« نعمة بن الربيع وجاريته نعم » قديمة ايضاً . واطلقت الكلمة ايضاً على فرقة آلية ، اذ يقولون ان جارية « عملت نوبة » على العود ، على حين نقرأ في قصة اخرى عن العازفة التي « ضربت نوبة » على هذه الآلة . وتبين هذه الاشارات انهم يعنون حركات النوبة المختلفة ، الغنائية او الآلية وحدها ، وان لم يذكروا ذلك صراحة . ولكنهم يوضحون ذات مرة وجود الحركة الفعلية المؤداة ، وذلك حين يخبروننا ان عازفة اخذت « العود وعملت نوبة (ثم) دخلت في دارج النوبة » . ومن الواضح ان هذا « الدارج » احدى حركات النوبة ، وقد اخذ اسمه من احدى الطرق الايقاعية التي تتحلى بهذا الاسم الذي يبدو انه لم يذكر فيما قبل القرن الخامس عشر الى القرن السادس عشر . وتحتوي نوبات مراكش وتونس والجزائر الحديثة على حركة تسمى « الدرج » ، ايقاعها هو ايقاع « الدارج » .

ويبدو لي من المرغوب فيه ان أختم حديثي بكلمة عن اصطلاحين

آخرين مستعملين في الموسيقى الآلية. اذ يوجد في « حكاية المفلس البغدادي وجاريته » عبارة تستعمل كلمتي « طرق » و« طريقة » بمعنى يختلف قليلًا عن المعنى المقبول والمعروف. وهاك العبارة التي نعنيها: « أخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة ، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها ». ومن الواضح البين ان كلمة « الطرق » (المفرد: طرقة) في هذا الموضع تعني « تنغيم Tuning » او كما يقول الموسيقيون « accordatura ». وقد رأينا ان كلمة طريقة تعني « mode » ؛ ولكن بينا يمكن القول ان كل وتر يعطي « طريقة » بجسه ، او اذا تحرينا الدقة « جنسا » من « الطرق » يجب ان نترجم اللفظ في صدر هذه العبارة ترجمة مخالفة لذلك ، ونجعله « نغما Note » لتوضيح العبارة. فتصبح الترجمة: « She took the lute and altered the accordatura (طرق) note by note (طريقة) and played in a mode (طريقة) which she had learned from me » اي أخذت العود وغيرت التنغيم ، نغمة بعد نغمة ، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني ».

هناك كلمة اخرى ذات اهمية اصطلاحية ، وهي كلمة « جس » التي تعني « مس بالاصبع to finger » او « تحسس to thrum ». ويقول كتاب « مفاتيح العلوم » (القرن العاشر) ان الاسم « جس » يعني في الاصطلاح « نقر الاوتار (اوتار العود) بالسبابة والابهام دون المضراب ». ويقول احد الامثلة في « الليالي »: « اخذ العود وجسه ». فترجمها برتون متلطفاً « He took the lute and swept the strings » اي « اخذ العود ولمس اوتاره ». ونقرأ في عبارة اخرى: « جس العود » فيترجمها برتون: « He turned it (the lute) » أي « دوّره (العود) ». وهذه حالة ثالثة ، اكثر تحديداً: « اخذت العود واسندته الى نهديها وجسته بأناملها » ، فيلخصها برتون في قوله: « She took the lute and swept the strings with her fingertips » اي « اخذت العود وجسته بأطراف أصابعها ».

خاتمة

« قيمة كل انسان ما يحسنه » مثل عربي

●

توحيد في « الليالي » حكاية جديدة بأن نختم بها هذه الدراسات عن موسيقى تلك « الليالي » الثمينة ، وخاصة لاني اشرت الى الموضوع في ملاحظاتي الاولى. وهي تتعلق بالموقف العدائي الذي وقفه بعض الفقهاء المسلمين من الموسيقي ، ذلك الشعور الذي كان مريراً جداً في الفترة التي تناولتها « الليالي » ونرى ذلك الموقف في « حكاية ابي الحسن اللبق » المغرم بالموسيقى والملاهي الاخرى الى درجة جعلت امام المسجد وشيوخ الناحية يشكون مسلكه الى الوالي . فعاقبه الوالي بغرامة لازعاجه جيرانه . فغضب ابو الحسن من هذه المعاملة ، وصرح ذات يوم للخليفة هارون الرشيد ، وهو لا يعرفه ، انه لو اعطي السلطة لجلد هؤلاء الشاكين الف جلدة. وحدث ان حققت رغبته ، فجلد الخليفة المزيف الامام والشيوخ كما اراد . وبعد جلدهم صرفهم بقوله لهم ان ذلك جزاء من يزعج جيرانه .

وهي قصة مسلية ، ولا شك في انها حازت تصفيق الجمهور في المقاهي والاسواق . ولكن يتضح من القصة ذاتها ان الامام والشيوخ كانوا محقين يسيرون على القانون في هذه الحادثة. فقد كان ابو الحسن زميلًا لبقاً ، ومن الواضح ان انهماكه في الموسيقى والملاهي الاخرى كان من الصخب بحيث لا يخامرنا شك في ازعاجه جيرانه واستحقاقه العقاب . ولو كان مسلماً حقاً لما جار على حقوق الآخرين ، لان « الحياء من الايمان » .

ويستطيع المرء ان يلمح الى حد ما موقف الناس الجادين من الموسيقى حين رأوها في صحبة الخمر والنساء ، فهذا اسحاق اليهودي يصيح مهددا الناس بالويل . . لاستخدامهم القانون ، والعود ، والناي في افراحهم ونسيانهم الله . ويحدث نفس الامر للقديس كلمنت الاسكندري الذي ظن ان لو اشتغل الناس بالناي والقانون قست قلوبهم وعصوا الله ولكن ابن ابي الدنيا المسلم كان اكثر تحديداً في لومه حين قال ان كل اسراف يبدأ مع الموسيقى وينتهي مع الخمر.

ومع ذلك ليست الموسيقى شراً في ذاتها ، وان كانت قد تصاحب الشر . وان المرء ليضطر احياناً الى التعجب مما اذا لم يوجد وراء كل هذه المعارضة من المتشددين شيء من الحسد لنجاح الموسيقى ؟ تأمل في موقف القديس كريزستم St. Chrysostom المسيحي ، الذي كان يعظ سنة كاملة ضد الملاهي المضحكة ، لانه رأى الكنائس خالية في الاسبوع المقدس ، وان امتلأت المسارح بالجماهير الغفيرة. وتدبر مسلك النبي محمد الذي صب كؤوس غضبه على الشعراء الوثنيين الذين كانت تلاقي قصصهم الفكاهية عناية اكثر مما يلاقي وحيه . وانظر رجال الدين المسلمين المتأخرين او

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني (يناير)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار.

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ٤٦ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

الفقهاء الذين يهزون رؤوسهم اسفاً ولوماً لهؤلاء الذين يصبون ذهبهم الذي لا يحصى في حجر المغني الذي يغني ويعزف في بلاط الخليفة فهم لا يختلفون ولو قليلاً عن القس المسيحي لنجلاند Langland الذي صب لعناته حين رأى الاشراف الانجليز يغدقون الهبات على طبقة الموسيقيين .

والطبيعة الانسانية واحدة في الشرق او الغرب ، ولسنا بمستطيعين ان نوقن ان الغضب للحق هو الذي دفع الانبياء والاولياء على الدوام الى معارضة هذا الانهماك في الموسيقى وحتى لو كان الامر كذلك ، فان قليلين هم الذين اقترفوا « الاثم » بهذه الطريقة ، واقل منهم الموسيقيون الذين كوفئوا « بالدينار » او « الشكل » او الذهب جزاء لمساعدتهم على اقتراف الاثم . ولم يكن جمهور الناس قادرين على الانهماك في « الخمر والمرأة والاغنية » كما كانت الكثرة الهائلة من طبقة الموسيقيين في فقر فأر الكنيسة الذي يضرب به المثل بالنسبة لغيرهم . والحق في سطر في « الف ليلة وليلة » يقول : « واما جرف اولى الصناعات ففير فاضلة عن الاقوات » .

واخيراً ، هذه المعارضة المتشددة للموسيقى باطلة تماماً ، اذ من غير المعقول ان نعدم الفاكهة او اللحوم لارتباطها بالخمر والنساء ، كما يقول ميمونيدس Maimonides بل الموسيقى اقل إستحقاقاً للاعدام ، لانها في ذاتها ليست خيراً او شراً . ولا يمكن تصنيف الموسيقى او اخضاعها للتصنيفات . فهي تتحدى كل هذه الحلول ، ومن يبحث عن حل ، ينبغي ان يكون الهاً ، كما يقول جلوكون Glancon ونحن لا ندري كيف ولماذا تؤثر الموسيقى فينا . ومن الحق اننا لازلنا بعيدين عن معرفة الاسباب الحقيقية للانفعال نفسه . وقد تجنب الفارابي الفيلسوف المسلم العظيم شرح الظاهرة بكل براعة ولكنه على الاقل عرض الخطأ القائل بأن الموسيقى تثير العاطفة او الحالة الروحية . وبالعكس ، اصر على ان الموسيقى نفسها ، في العازف او في المستمع ، تثيرها عاطفة او حالة روحية ، وان كان المنطقي قد يجيب على ذلك بأن هذه تفرقة دون وجود فرق .

ويبدو ان شوبنهاور ضمن اللغز حين قال ان العالم ليس الا موسيقى محققة . فالموسيقى عنده توجد في لب الاشياء ، وتعيش على جوهرها ولعلنا اذا استطعنا ان ننفذ الى ما وراء الحجاب ، وجدنا الموسيقى مفتاح الوجود ذاته .

القاهرة — حسين نصار

هل الشقاق طبع في العرب ؟

بقلم محمد اديب العامري

ثار هذا السؤال في ذهن الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة فكتب به الى الاستاذ ساطع الحصري ، المفكر العربي المعروف . وقد جال السؤال في اذهان غيره من المفكرين في جميع البلاد العربية على اثر هذا التدابر المنكر الذي ظهرت به الدول العربية في قضية فلسطين . وكم ذكر المفكرون حقاً في هذه الفترة العصيبة المؤرخ الاجتماعي العربي ابن خلدون ، لانه اول من لفت النظر في صورة عقلية الى خصال العرب وسلوكهم في الاجتماع والعمران .

وقبل ان ادخل في البحث الفت النظر الى كلمة « طبع » التي وردت في السؤال ، فان المقصود منها « السجية التي جبل الانسان عليها » . والذي يجب ان نفهمه منها هو « الغريزة » في الاصطلاح العلمي الحديث . والغريزة او الطبع او الطبيعة سلوك يخلق مع الانسان خلقاً ولا يكتسبه . وهو خلاف التطبع او الاكتساب في الاصطلاح الحديث . فالسؤال الذي نحن بصدد الجواب عنه اذن يمكن ان يكون « هل الشقاق غريزة في العرب ؟ » . ومن المعروف عند العلماء ان الامر اذا كان غريزياً انعدمت الحيلة في محوه ، وجل ما تستطيع ان تصنع هو ان تعدل من مظهره بعض الشيء . اما اذا كان الامر مكتسباً فمشكلته اهون ، اذ تستطيع في هذه الحال ان تعدله تعديلا كبيراً او تمحوه محواً .

ولقد اجاب الاستاذ ساطع الحصري عن هذا السؤال بان الشقاق ليس طبعاً في العرب ولكنه طبع في جميع الناس . ويكفي من هذا الجواب انه ازاح عنا كابوس الفكرة التي زرعها ابن خلدون ، فكان اثرها سيئاً في التاريخ . وجواب الاستاذ الحصري على كل حال كبير القيمة لانه يأتي من رجل واسع الاطلاع . ومن حسن الحظ ان الكاتب الكريم اعتمد على الناحية التاريخية في اثبات هذه القضية ؛ لان جميع الذين عرفوا طرفاً من العلم الطبيعي (والاستاذ الحصري منهم) يعرفون الجواب عن السؤال في بداهة ويسر — الشقاق ليس طبعاً في العرب . ولكنه ليس في نظري طبعاً في غير العرب كذلك ، وستقل مظاهره شيئاً فشيئاً اثناء سير ركب المدنية الحديثة حتى يكاد يتلاشى على الشكل الذي نعرفه اليوم ، دع عنك الشكل الذي عرفناه في الماضي .

وستكون خطتي في هذه المقالة ان الخص رأي الاستاذ ساطع الحصري ، ثم اعقب عليه بالرأي الذي ارى . والجوابان لا يختلفان كثيراً لكني اعالج السؤال من الناحية العلمية — الاقتصادية والطبيعية — في حين ان جواب الاستاذ الحصري يستند الى الناحية التاريخية .

والاستاذ الحصري يعتقد اننا نرى العرب طبعوا على الشقاق لاننا « ننظر الى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من دقائقه ، دون ان نحيط علماً بخطوطه الاساسية » وبعبارة اخرى نحن نرى مظاهر الشقاق في تاريخ العرب لاننا كعرب ندرس هذا التاريخ بالتفصيل . ولو نحن درسنا تواريخ الامم الاخرى بالتفصيل عينه لرأينا فيها مظاهر شقاق لا تقل عما نرى في تاريخ العرب ويورد الاستاذ الحصري امثلة من امم العالم المختلفة تدل حقاً على ما يشير اليه . وهو يبدأ بقضية الاختلافات الدينية فيقول : « احصوا المذاهب المختلفة التي نشأت في الغرب منذ ظهور المسيحية في مختلف البلاد الاوروبية خلال القرون الوسطى ، وخلال النصف الاول من القرون الاخيرة تجد انها لم تكن قط اقل تنوعاً ولا اخف عنفاً مما حدث في العالم العربي ، خلال الازمنة المذكورة ان لم تكن اكثر تنوعاً واشد عنفاً » .

وعندما يتحدث الاستاذ ساطع عن الاختلافات السياسية

يلاحظ ان الامبراطورية العربية نشأت بسرعة وامتدت اطرافها الى آفاق لا عهد للامبراطوريات بها . ثم يتساءل : كيف يمكن ان تبقى تلك السلطنة المترامية الاطراف مصونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من اختلاف الشعوب الكثيرة التي دخلت تحت حكمها وبالرغم من المسافات الهائلة التي كانت تفصل ثغورها من عاصمتها ، وضآلة الوسائط التي كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور ؟ ويقارن الاستاذ هذا باليونان والحروب التي كانت تثور بين مدنها . ويقول « لقد حدثت هذه المنافسات والمحاربات بين تلك الدويلات ، مع ان المساحة التي كانت تجري فيها المنافسات والمحاربات اقل من مساحة بعض المديريات في مصر والمحافظات في سورية والمتصرفيات في العراق ».

ثم يتحدث عن الرومان ويقول : « استعرضوا تاريخ روما بنظرة فاحصة ولاحظوا كم من المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية حتى في مدينة روما نفسها ، وحتى في عهد الجمهورية ، وكم من الحروب الداخلية نشبت بين القواد في عهد الامبراطورية ، وكيف اصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة في تنصيب الاباطرة ».

والاستاذ الحصري لا ينسى امثلة من الدول الاخرى فهو يأخذ فرنسا مثلاً ويورد قولاً لمؤرخ فرنسي مشهور (ارنست لافيس) والقول هو :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة بمدونيا الحالية ، منقسمة الى اجزاء كثيرة متخالفة متنابذة متنافسة متخاصمة ، وقد وجب ان تسيل الدماء مدراراً حتى تلتحم هذه الاقسام المختلفة فتصل فرنسة الى وحدتها الحالية » وهو يضرب المانيا مثلاً كذلك فيقول انها : كانت منقسمة الى اكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة ، حتى اوائل القرن الماضي ، وكانت لا تزال منقسمة الى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط .

ثم يعالج الاستاذ الحصري مسألة الشقاق عند العرب من اصلها ، اى منذ جعل منها ابن خلدون ما يشبه القاعدة الاجتماعية ، وهو ينقل عن ابن خلدون قوله : « والعرب اصعب الامم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والانفة ، وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة ، فقلما تجتمع اهواؤهم من اجل ذلك لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية ، من نبوة او ولاية او اثر من الدين على الجملة » . ويقارن الاستاذ الحصري اقوال ابن خلدون في هذا الباب بعضها ببعض ثم يستنبط منها استنباطاً لا رد له وهو انه قصد « بالعرب » العربان او البدو واما ان الملك العربي كان يقوم على الدين فظاهرة اثبت الاستاذ الحصري ان الممالك الاخرى في العالم خضعت لها كما خضع العرب ، وهو قول ظاهر الصحة كما يذكر كل من مر بتاريخ العالم مر أشاملا .

وينهي الاستاذ الحصري بحثه بقوله « لا يوجد في طباع الامة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر الامم في امر الاتفاق والانشقاق ».

ذلك ما قاله الاستاذ الحصري ملخصاً . ولو اردت ابداء الرأي لقلت ان الاستاذ يحسن ان يتوسع في الجواب عن هذا السؤال توسعاً يجعل هدفه الرد المقابل لآراء ابن خلدون في هذا الموضوع ، وفي قابلية العرب للعمران ، على ان يضيف الى ذلك الاسباب الطبيعية التي ميزت البدو (لا العرب) بصفات خاصة تدعو الى الشقاق ، والدواء الذي تقدمه الحضارة العلمية الحديثة لهذه الظاهرة الخلقية في العرب او في غير العرب ، ان رسالة كهذه من شأنها ان تكون منارة في تاريخ العرب الفكري ولا بد ان يذكر العرب طوال تاريخهم ان الاستاذ الحصري قضى على الفكرة التي ولدتها باطلاً فصول ابن خلدون في مقدمته وانه اضاف الى العقيدة المتينة التي يحسها كل عربي من انتمائه لهذا العرق الذي انتج تلك الحضارة الرائعة ، والذي يتأهب للاشتراك اللائق بركب الحضارة العالمية الحديثة .

وبعد فاني الفت نظر القارىء الكريم حين يفكر في العرب والدول العربية الحاضرة ، ويقارن هذا الشعب بغيره من شعوب العالم اليوم ، او يقايس بين الدول العربية والدول الاوروبية او الاميركية الفت النظر الى ان المقارنة لو تمت ، تكون مقارنة بين شعب يخرج من ظلمات اشبه بظلمات القرون الوسطى ، ومن تحت نير اجنبي من الحكم اثقل كاهله في كل مكان ، وما يزال يثقل كاهله في اماكن مختلفة منه . وانت تحتاج الى ان تعيد هذه الشعوب الاوروبية او الاميركية المتحضرة ، مئات من السنين الى الوراء ، فتضعها قبل الثورة الصناعية ، وقبل الانقلاب التجاري الذي وقع اثر افتتاح اميركا ، وقبل تلك الانقلابات الحقوقية التي ولدتها الثورة الافرنسية وثورات ١٨٤٨ في مختلف ممالك اوربا ، تحتاج الى ان تضعها قبل ذلك كله ، لتصبح المقارنة ويكون الحكم صائباً . ولو انت اقمت المقارنة على هذا الاساس لخرجت بحكم يضع العرب من حيث الشقاق او الاتفاق في صف قريب من صفوف الامم الاوروبية التي يدل تاريخها قبل هذه الاحداث على اختلافات داخلية مريرة .

اضف الى ذلك ان القرن التاسع عشر شهد توحيد الامم الاجنبية على اساس النزعة القومية . فما انتهى القرن التاسع عشر حتى كانت شعوب اوربا منتظمة في امم ذات دول ودساتير تضم شتاتها

وتحفظ كيانها وان هذا الدور لم يمر بالعرب بعد . وما وجود هذه الاقطار العربية وعلى رأس كل قطر دولة، الا دليل على ان العرب لم ينتفعوا الى اليوم بالفكرة القومية التي نضجت في اوروبا الى حد تكاد به تخرج من نطاقها الى نطاق اممي يخلص الناس من شرور العنصرية .

ومع تأخر العرب في هذا المضمار بسبب الوان الاستعمار التي انتابت اقطارهم كما اسلفت ، ظلوا كذلك خاضعين الى اليوم في نواحي كثيرة من بلادهم للنظام القبلي تؤثر فيهم خصائصه، وللحياة الصحراوية التي ينتج منها طبع خاص وحالة اقتصادية معينة . وهذا كله انتج الطباع العربية التي نعرفها من صيد في الخلق و«فردية» في النزعة وحساسية تؤدي الى النفور والتفرقة .

فالنظام القبلي الذي عم شعوب العالم كلها كما يقول مورجان ما يزال سائداً في الحياة العربية بدوية وقروية وحضرية . ولا يقضي على هذا النظام الا التركز في القرى والانصراف الى العهد المثمر والا التكتل في المدن على الاساس الصناعي الحديث — هذا الاساس الذي يزيد بطبيعته من قيمة الفرد ويغض من قيمة العائلة والقبيلة في الوزن الاجتماعي . ولقد حارب النبي النظام القبلي حرباً شديدة تشهد بها آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية لما لاحظ من اثر ذلك النظام في اعاقة التقدم والرقي . وهذا النظام القبلي الذي ساعدت على بقائه الصحراء الواسعة ، هو الذي ولد المفاخرة العربية والصيد العربي الذي اشرت اليه . فمصلحو الامة العربية اذن يجب ان يقروا البدو جميعاً في قرى معينة ويخضعوها للنظام الذي تتطلبه الحياة المستقرة الرتيبة .

واما الحياة الصحراوية فأنها بافقها الواسع ومداها الذي لا ينتهي ، ونزوع العربي فيها الى الهدوء والانفلات تولد « الفردية » التي نعرفها في العربي . وليست هذه الفردية الا امتداداً منحرفاً للانانية واحساس المرء بنفسه وانطوائه عليها . وقد لاحظ احد الكتاب الانجليز المحدثين حين قارن العرب بالانجليز ان العرب شديدو الغيرة والتنافس الى حد غير معروف في الانجليز . وانا اعتقد بصحة هذا واعزوه الى ما تشحذه الحياة الصحراوية التي اشرت اليها . ولا ريب في ان تركيز البدو في القرى يحد من النزعة الفردية ويقربها من القدر المعروف عند الامم الصناعية المتحضرة .

ولقد كانت الحياة الصحراوية ، والزراعية الابتدائية مسؤولة عن الفقر عند العربي . فاذا قرن الفقر بالانطلاق الذي تيسره الصحراء كان من ذلك الحساسية والانطواء ، وخاصة عند شعب كالعرب امتلأت نفسه بالامجاد التاريخية وخلت حياته من الاسباب المادية التي توقفه عند حد الافصاح المتزن عن هذه الامجاد ، بل هو يتجاوز ذلك الى الاعراب عنها بفخر اجوف، واهتمام مضيع للجهد .

وليست مهمة المصلحين العرب مقتصرة على ازالة معالم الحياة القبلية والصحراوية من حياة الامة العربية في اكثر اقطارها ، وانما تمتد الى ادخال الصناعة في الحياة العربية وما تقتضيه الصناعة من علم وصحة . ان الصناعة تزيد الثروة وتصقل الخلق بما تتطلب من تخصص في العمل ودقة في الاداء وتنسيق في المهمات، فالصانع الذي يعمل في مصنع، فيرى ان انتاج سيارة يحتاج الى قرابة اربعة آلاف حركة صناعية مستقلة ، وان هذه الالاف من الحركات تنسق على شكل ينتج جسما واحداً هو السيارة ، يتعلم من معنى الاتحاد والتعاون ما لا يمكن ان يتعلمه عن طريق الموعظة او الدعاية .

ويجب ان لا يقل الانقلاب الذي ندخله في الزراعة على ما يجب ان يدخل الصناعة . فالعمل بالآلة في الزراعة ، يعرض المرء للانطباعات التي اشرت اليها الآن في الصناعة ، والعمل بها في الزراعة يولد من الثروة ما ينفي الفقر وما يستتبع ذلك من احساس بالانطلاق والكرامة .

اما الذي ينتج من تطبيق هذا البرنامج ، وفي اي مدى من الزمن تبلغ الحالة التي يؤدي اليها ، وهل العربي قابل له او غير قابل ، فالجواب عنه مفحم حين ننظر الى المؤسسات الصناعية والتجارية الحديثة التي تنتشر ببطء في مصر والشام . فاذا انعمت النظر بين قطر عربي وقطر اكثر منه ثقافة وابعد فهما للمدنية الحديثة بتعقيداتها ومقتضياتها ، وجدنا الخلق العربي يتأثر بلا ريب تأثراً واضحاً بهذه المقتضيات ويقترب من الخلق الذي يعرف في دول الغرب التي تأثرت بمعالم المدنية الحديثة .

ان آثار المدنية الحديثة بصناعتها وعلومها وثروتها واخلاقها تكاد تتشابه سواء اطبقت في انجلترا او المانيا او اميركا او اليابان. ولذلك تجد من الشبه بين اثنين من بلدين مختلفين من هذه البلاد ما لا تجد بين عربي متعلم وعربي جاهل .

وما لم نأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، فسيظل هذا الوهم عن طبع التباعد والتفرقة والشقاق في العرب سائداً كما سيظل الفقر والضعف ضاربين بجرانيهما بيننا ضرباً يؤدي الى زعزعة عقيدتنا بانفسنا ، وهذه الزعزعة هي اكبر دواعي الشقاق .

القدس — محمد اديب العامري

الـوادي

للامارتين

من كل شيء. فؤادي ناله تعب حتى من الامل الزاهي لقد تعبا
فلن يثقّل بعد اليوم مركبة الايام او يرتجي من دهره طلبا..
وادي صبايَ أعرني ملجأ لارى فيه موافاة يومي... انه قربا..

***

هذا هو الشعب في الوادي لقد ضربت أطرافه وقتام الظل قد ضربا
فلا أرى غير غابات مهدّلة على السفوح يناغيها الهوى طربا
تريق ادواحها الاظلال باردة على جبيني الذي من بؤسه شحبا
ويغمر النفس فيض من بشاشتها والصمت يسطع بالاشراق ملتهبا..
هناك تهدر خلف الغاب ساقية وتنثني في التواء تلمس الهربا
وتحت اقدام هذا التيه والهة أخرى تداعب في امواجها العشبا ،
مجراهما يرسم التعريج ملتمساً درب اللقاء جريح اللحن ، منتحبا
حتى اذا الموج لاقى الموج واتحد الايقاع غلغل هذا النهر مصطخبا
في جوف مخضرة اسوارها ارتفعت من الغصون بقرب النبع، واعجبا!!
لقد جرى نبع ايامي كنبعهما.. في حوض وادي الصبا لكنه ذهبا
فلا هدير ولا رجع ولا سمة كأنه في قرار الصمت قد رسبا
لكن ماءهما فيه الصفاء بدا وفي فؤادي تراءى العيش مكتئبا..

***

رطوبة الماء والاظلال تعقلني منها قيود وكم مثلي بها انجذبا
اقضي النهار وحوبائي اهدهدها على خرير المياه اللذ مغتربا
كما يهدهد طفل عند رقدته على مناغاة ام صوتها عَذُبا..

***

هنا بعيداً عن الاقوام منفرداً مع الطبيعة يحلو العيش محتجبا
تحيط بي من رياض الارض مخضرة تفضى مجالا لابصاري ومرتقبا
فلا أعي غير همس الموج مبتهلًا ولا ارى غير وجه الجو منتصبا..
قضيت أكثر عمري في الهوى مرحاً وكم رأيت وكم احسست منذ صبا
قلبي الى الحب ، آلاماً مبرحة واليوم جئتك ، حياً ، باحثا ، تعبا
عن نهر « ليتيه » وفي جنبيّ طيف منى يهفو الى عالم النسيان ، معتتبا
فيا مقر الصبا كن مثله وأزح عني الهموم اذا ما ليلها وقبا
ففي التناسي نعيم النفس فاستتري يا ذكرياتي، ولا تستشعلي غضبا..

***

قلبي رخي ونفسي جد هادئة تود من عالم الاشرار ان تثبا
فضجة الناس تفنى قبل ان تطأ الاصداء اذني فلا ارجو لها كثبا
كنغمة في البعيد الطلق يصهرها طول المسير صدًى في الاذن مضطربا،

***

من خلف ذاك الغمام الغض تستتر الحياة حولي كأن البؤس، لي، كُتبا
تغوص في ظلمة الماضي مخلفة رسيس حب نأى عن اعين الرقبا
كصورة الحلم تبقى عند يقظته جلية لا تبالي فيه ان غربا..
فاستروحي ههنا يا نفس واتئدي وعانقي الله بالنجوى فقد وجبا
هذا العناق وكوني كالمسافر اذ تفنى قواه فيشكو الضعف والوصبا
ويستريح على ابواب مقصده قبل الدخول مساء يرقب الشهبا
وقلبه مطمئن كله أمل عليه عطر المساء قد سكبا..

***

صاغ الاله عقولا كي تحس به فاكشف لنا هذه الاسرار والسببا
فان صوتاً غريب الجرس مستتراً يحدث المرء عن سر سما ونبا
ومن الناس لم يسمع صدى نغم يختال في القلب فليسمعه من رغبا..

مصطفى عبد ربه

رينه ديكارت

فصل عن كتاب سير مشاهير الفلاسفة تأليف هنري توماس ودانالي توماس

ترجمه عن الانكليزية **عبد المعروف** ليسانسيه في الحقوق

☆

توفيت ام رينه بمرض السل بعد ايام قلائل من ولادته (١٥٩٦) وتوقع الاطباء موت رينه المبكر ايضاً لانه ورث شحوب الوجه والسعال الجاف عن امه . وكان ابوه موظفاً في دائرة « بواتيه » وقد سلمه الى مربية تعهدته ومنعته عن الالعاب التي يلعبها اطفال القرية الآخرين فترعرع — نتيجة لهذا التدليل — بمزاج انثى ، رقيقاً انطوائياً ميالا الى العزلة مما جعل اباه يناديه ساخراً « فيلسوفي الصغير » .

ولما بلغ الثامنة من عمره ادخل مدرسة اليسوعيين في «لافليش» وكان معلموه ينصحون له براحة جسمه وتمرين عقله فأجازوا له البقاء في مخدعه الى ساعة متأخرة بينما كان عليه ان يستذكر دروسه ويتلوها في الصف مثل رفاقه الطلاب وقد ساعده هذا الوفر من الوقت على اضافة دراسات اخرى على دراسته المعينة فدأب على استيعاب معلومات جديدة وكان مولعاً — وبصفة خاصة — بالادب الكلاسيكي او كما يقول هو « لاقوم بجولات فكرية في الماضي السحيق فآخذ بطرف الحوار مع النبلاء الطاعنين في السن ».

ترك مدرسة اليسوعيين في العام السادس عشر من عمره ليقوم بجولات رياضية في الحاضر فيمم وجهه صوب باريس اذ تعرف بجماعة في سنه من الشباب الطائش فتعلم منهم كيف يأكل ويشرب الخمر ويقامر وكان موفقاً بالمقامرة فذكر عنه اصدقاؤه « انه كان يعتمد في تخميناته على معرفته العجيبة بالرياضيات اكثر مما يعتمد على قوانين الحظ » .

ولقد افعمه السرور وتملكته النشوة حين تخلص من مرض السل ووجد نفسه متمتعاً بجسم سليم معافى وعقل متوقد فأهمل نشاطه الفكري لبارس نشاطه الرياضي. ففي ربيع سنة ١٦١٧ — في العام الواحد والعشرين من عمره — تطوع في جيش الامير موريس آل اورنج في الاراضي المنخفضة . لم يكن عسكرياً بالطبع وما رغب في العسكرية ذاتها بل حسبها مدرسة للتمارين الرياضية كما لم يحبذها كوسيلة من وسائل الحرب . فقال : «ان نزعتي العسكرية ناشئة عن حمى الكبد الوقتية التي ولت بمرور الزمن » وكان طبيعياً تجنبه للمعارك اثناء حياته سواء كانت في ميدان الكر والفر ام في ميدان الفكر . فالشجاعة ليست صفة من صفات ديكارت . مضى عامان وهو يشبع ميله الى الحياة العسكرية التحق خلالهما بالجيش الهولندي والبلغاري والهنغاري وعاد بعدهما من عسكريته الى التفكير والتأمل . . فجأة غمره النور وانبثق نحوه عام ١٦١٩ « زارني في ذلك العام حلم هبط علي من السماء فسمعت قصف الرعد . انه نداء الحقيقة اصخت اليه فتملك نفسي » وفي الصباح الباكر دعا الله ان يرشده بنوره . فكرس حياته منذ تلك اللحظة لاستقصاء الحقيقة وانقضت حوالي عشر سنوات وهو يجري وراء الحقيقة تنقل اثناءها من بلد الى آخر يلتمسها مع الناس وفي قراءة الكتب ويتشبث بخيوط اللانهاية الواهية فيتأثرها ليدرك اصولها ومن ثم يدون ثمرات ابحاثه في دفاتر المذكرات . وعاد بعد ذلك — في الثالثة والثلاثين من عمره — الى هولندة « هنـاك حيث السكون والعزلة استطعت تنسيق افكاري على شكل مجموعة دائمة » وحجب نفسه حجباً تاماً عن المجتمع فأخفى محل اقامته حتى على اصدقائه .

اعتقد اخيراً بأنه بلغ جزءاً من الحقيقة اودعه صفحات كتابه (العالم) وامتنع عن نشر مخطوطه تهيباً من طبع كتاب يتضمن نظرية ثورية وهي ان الارض متحركة . وكان اتهام الفلاسفة والعلماء غيره ماثلا نصب عينيه مثل (برونو Bruno) و(كامبانيلا Campanella) و(فانيني Vanini) و(غاليليو) حين اقدموا على نشر نظريات ثورية مشابهة . وحتى يتحاشى اية محاولة لنشر هذا المخطوط ارسله الى منطقة نائية عن بلده ولم يصدر كتابه هذا حتى بعد موته عدا جزء منه فقط . فالحقيقة التي جعلت ديكارت حكيما اخفقت في ان تجعله حراً .

لولا تأثير ديكارت الخلقي عليه – ربما نشأ هذا الجبن عن اثر التدليل الذي تعوده في بدء حياته – لقدر له ان يحدث انقلاباً هائلاً بالتفكير العالمي فهو متشكك بالطبيعة مؤمن بالواقع ودفع بركب التطور الفلسفي الى طور جديد فاشاد معبد الايمان من مادة الشك ولاجل ان نفهم طبيعة فلسفته التناقضية دعنا نتأمل في مثلين من مثل فلسفته الاخلاقية التي وضعها كي يهتدي بهديها في حياته الخاصة.

اولا – « لاتبع افكاري اينما تقودني. بهذا يجب ان يكون مثلي مثل مسافرين وجدوا انفسهم ضالين في الغاب . . . كل ما يجب عليهم عمله ان يواصلوا السير باتجاه مستقيم لا ينحرفون الى اليمين او الى الشمال . فاذا لم يبلغوا المكان الذي قصدوا اليه فسيبلغون مكاناً ما يكون احسن بكثير مما لو توقفوا عن السير في وسط الغابة ».

ثانياً – « لاخضع لقوانين بلادي ولاتمسك بدين آبائي ولاتبع تقاليد أكثرية رجال الطبقة الحاكمة فانا ملزم باتباعها بحكم اتصالي بهم ».

ان هذين المثلين – كما تلاحظ – يتناقضان الى حد ما فيشق على الانسان ان يتبع خطواته اينما تقوده . . فاذا عزم على التقدم فلا تقوده هذه الخطوات الا في السبل المؤدية الى سلامة الرأي .

ومع كل ما ذكرناه من تناقض ديكارت البين فقد نجح في نشر نظام للتفكير ميزه عن غيره بأن يكنى (بابي الفلسفة الحديثة) .

وظهرت فلسفته في بحثيه (اسلوب التعليل الصحيح للمنسب) و (تأملات بالفلسفة القديمة) فاستند فيهما على اساس علمي عبر عنه بأنه (اسلوب الرياضيات كما طبق على الفلسفة) فهو يبدأ بفرض علمي فيحتم علينا الا نقبل شيئاً غير الحقيقة فندخل مملكة الطبيعة Physico وما وراء الطبيعة Metaphysico باستشارة العقل دون ان نكون مؤمنين او غير مؤمنين محاولين الصراحة دائماً . نلج دار الغموض من باب الشك فماذا نجد في هذه الدار . . مبدئياً لا شيء، الا الظلام كالمسافرين الضالين في الغاب . . لكن دعنا لا نتأخر دعنا نسير باتجاه مستقيم نشك ونفحص وندقق باحثين عن الحقيقة . . قبل كل شيء يجب الشك في كل شيء « امنيتي ان انذر نفسي لاستنباط الحقيقة التي اعتقد بأنها من مكملاتي . . ولاطوح جانباً اي شيء موهوم . . او يخيل الي ان فيه ادنى دليل على الوهم . . فأن جميع الفكر والرؤى التي تغشاني عند اليقظة قد تغشاني عند النوم دون ان تكون اية واحدة منها حقيقة في نفس الوقت . . وانا واثق كل الثقة بان كل شيء تقبله عقلي كان حقيقة ولم يكن اوهام أحلامي . »

لقد ظفر ديكارت من حله بحقيقته الاولى « لا بد للحلم من حالم » . . « واقعية تفكيري اطلعتني على وجود شيء يفكر » ما هو هذا الشيء ؟ . . انه انا . (انا افكر اذن انا موجود) شكي الشديد يثبت وجودي كتشكك والا لوجب ان يزول الشك نفسه فان (مذهب الشك Skepticisim) يقودني الى حقيقة واحدة هي انا ولكن من انا ؟ . . اجاب ديكارت على هذا السؤال اجابة منطقية بسيطة ، انا مادة مفكرة او عقل ويمكن ان اشك ضمن كياني المادي الذي اعيش فيه ولكني لا استطيع الشك خارج نطاق شكي اي خارج كيان تفكيري ، بعد ذلك عرفت انا كجوهر للتفكير لا يشغل كيانها حيزاً معيناً ولا تستند على اساس مادي ، هذه هي انا او بتعبير آخر انها الروح فما هي الروح ؟ . . انها تتميز تميزاً تاماً من جسدي ولايضاح هذا اقول « اذا انعدم الجسد فلا تكون للروح ماهية ما » .

هكذا استطاع ديكارت بتساؤله المنطقي عن اي شيء او عن اي كائن حي ان ينجح – ولو باقتناعه الشخصي – في الوصول الى الاعتقاد بوجود الروح . دعنا نستأني ونحتاط للامر فديكارت يريد ان يدخلنا في دار الغموض من باب الشك – وهي باب لولبية تدور دورات سريعة حول نفسها – كي نلقي نظرة الى داخلها او لننظر في مرآة ما وراء الطبيعة لكن الباب اللولبية تلفظنا بعيداً قبل ان يساعدنا الحظ على تقديم خطوة واحدة في مداخلها . .

فهو يبحث في الغيبيات والبحث فيها محاولة لرسم صورة حقيقية لفكرة مجردة او خبطة عشواء في الظلام ولكن هيهات ان يدرك المستحيل وقد قال عمر الخيام :

انا الغيب حديث بيننا ليس نراه
لم ترد انت ولا زدت انا في منتهاه

لقد انتهينا من تهجئة الحروف الاولى في سفر ما وراء الطبيعة لكن دع ديكارت يواصل حديث (انا وانت) . « انا مادة مفكرة . . والتفكير اساس في تكوينها ومن ثم فأنا روح حي والحقيقة الاولى هي انا . . » بدأ كتشكك فتصور الاشياء بوضوح وتميز فآمن بوجود الروح هل تؤمن بحقائق اخرى ؟ أجاب ديكارت « بنعم هناك حقيقتان اخريان آمنت بهما : وجود الروح وخلود الله . » .

ان جوهر جسدي مادة – كما اراه بوضوح – وجوهر روحي

تفكير ، فالشيء الذي نسميه انا يتكون من جزأين متميزين من بعضها (ماكنة) متحركة او جسد وآلة مفكرة او روح .

ان فلسفة (الماكنة) والآلة تعرف بمذهب الثنائية Dualistic وهذا المذهب يقسم العالم الى مدرستين منفصلتين مدرسة الجسد ومدرسة العقل وهما اساسان للفلسفتين المتناحرتين في العصر الحديث المادية والمثالية . فالماديون مثل توماس وهكسلي يقولون ان العقل جزء من الجسد لذلك فهو آلة او عجلة من عجلات (الماكنة) وقد كتب هكسلي « أنا اتفق مع ديكارت بان الجسم البشري ككل الاجسام الحية (ماكنة) بعمليتيه (الجسمية والعقلية) ويمكن ايضاحها على ضوء مبادىء الميكانيك . وبناء على ما تقدم لا وجود للروح في الدنيا .

اما المثاليون من الجهة الاخرى مثل بيركلي Berkeley الذي ينكر وجود المادة فيقول « لا توجد المادة الا في نطاق شعور العقل بوجودها . . فالمنضدة التي اكتب عليها اقول انها موجودة حينما اراها واشعر بوجودها ولو قيل ان وجود الاشياء لا يعتمد على الصلة بينها وبين الشعور بكيانها لكان ذلك غامضاً كل الغموض . فوجود الاشياء يعتمد على تحسس كيانها » وعليه لا وجود للمادة في الدنيا .

مسكين ديكارت لا يعلم انه أب للفلسفتين متناقضتين المادية الحديثة ويمثلها ايسو Esua والمثالية الحديثة ويمثلها جاكوب .

دعنا نعود الى بحث ديكارت عن واحة الايمان في صحراء الشك حيث آمن اخيراً بعقله الحقيقي وجسمه الموجود وها هو يحاول اثبات وجود الله فيقول « اني اتصوره في غاية الوضوح والتمييز كحقيقة واقعة » « ويتجلى ذلك في عقلي وينعكس في الحقيقة التي شككت فيها اولا واعتقد بأن كياني ليس كاملا تام الكمال » « ويظهر لي ان منتهى الكمال بالمعرفة لا بالشك » .

ولكن كيف عرفت اني افكر في ذات اسمى من ذاتي ؟ عرفت ذلك بجلاء ان هناك ذاتاً حقيقية اسمى من ذاتي — ذات تركزت فيها كل صفات الكمال فاستطعت بمعرفتها ان اكون فكرة عن كلمة الله ولا ينسب الى الله الا الكمال وليست فيه اية نقيصة اذ ليس الخوف والحزن والغضب والتغير والحقد من صفات الله . وصفاته غير المنظورة تجعلنا سعداء . اما صفات النقص فهي علائم البشرية لا الالوهية . وان الله أحد . صمد . كامل . خالد . سامي . ازلي . عليم . قادر على كل شيء . وقد قال ديكارت « هذه هي حقيقة الله الكامل التي ساوت سهولة اثباتها او تجاوزت سهولة اثبات البديهيات الهندسية » وان الله الكامل يسدد خطانا المتعثرة غريزياً الى سواء السبيل .

كان امراً هيناً على ديكارت اطلاق العنان لتفكيره القويم حتى يدرك الصواب لأنه خلي من مشاكل الحياة الاقتصادية التي تشتت التفكير فقد ورث عن ابيه مبلغاً من المال كفاه العيش بمستوى مريح ان لم يكن راقياً لا سيما انه لم يتزوج فكانت حياته الخاملة تسير على وتيرة واحدة بلا مفاجئات . يأكل جيداً وينام كثيراً اذ يستيقظ في ساعة متأخرة صباحاً ويعيش عيشاً رضياً هانئاً ويقوم احياناً بسفرات الى الخارج لكنه اينما القى عصا الترحال قضى معظم اوقاته في الدار فيراسل اصدقاءه برسائل متواصلة فيكتب اليهم عن نظرياته الفلسفية وعن السرور الذي يتمتع به في مسكنه المنعزل وعن حياته الهانئة البعيدة عن الاوصاب التي تفشت بين اغلبية افراد المجتمع البشري وعن تفوقه في جدال بوكران بتي، وروبرفال وكامبانيلا وغاليليو وغيرهم من معارضيه من الفلاسفة والعلماء في عصره فشبههم بالكلاب الحقيرة النابحة التي ليست لها اية قيمة لكن ظهر له اخيراً انهم اناس ظراف يتبادلون النكات اثناء حوارهم الودي .

هكذا ينفض ديكارت عن نفسه غبار الكسل ويبعد التأمل والتفكير بالحوار وكتابة الرسائل لكنه يقضي ايامه العابسة بالبحث عن الحقيقة . ولنقتبس عباراته الخاصة « احب الحياة ولا ارهب الردى » . .

« حقاً اني ابعد عن الموت في الرابعة والاربعين من عمري عنه في ايام شبابي » فكتب يقول ان صحتي موفورة واسناني كما هي ولم يؤلمني شيء يمكن ان يسمى مرضاً منذ ثلاثين سنة . بعد ذلك اصيب بأول صدمة في حياته لما صار أباً لابنة تبناها اسمها فرانسين Francine فقد احبها حباً جماً وفضلها على كل مخلوق في الدنيا فاختطفها الموت فجأة عندما كان متأهباً للسفر معها الى فرنسا ليجعل منها « سيدة جميلة » لها مركز مرموق وقد حضر ديكارت وقت احتضارها فاضاف برهاناً جديداً على حقيقة وجوده « انا اتألم اذن انا موجود » وقد كتب بيليت عن سيرة حياته « كان يبكي عند موت ابنته بكاء مراً فبرهن بذلك ان عقيدة الخلود تزول في فترة الحزن على الفقيد » وآوى الى قلعة الفكر بعد انتهاء مدة الحداد فاشترى بيتاً ريفياً جميلاً بالقرب من مدينة ليدن لا يبعد عن شاطىء البحر اكثر من مسافة ساعتين واعتنى به عناية فائقة فأقام عليه عدداً كافياً من الخدم الامناء وكان يجلس في غرفة تأملاته المطلة

على حديقة قديمة جميلة فيجيل النظر بين المناظر الخلابة غارقاً في اوهام الشك .

ان ملامحه تنم عن هيئة فيلسوف قصير القامة نحيف الجسم ضخم الرأس شعره مسترسل يكاد يبلغ حاجبيه شاحب الوجه ويوجد نتوء بارز في شفته العليا وتبرز اسنانه من فكه الاسفل لشذوذ فيها ولحيته سوداء فاحمة حلقت على طراز فرنسي ويلف رقبته بوشاح من الحرير يقيه عادية البرد ويلبس سترة داكنة وسروالا قصيراً وجوارب سود، فهندامه فلسفي -اذا صح التعبير- تفتر على ثغره في بعض الاحيان بسمة فاترة وفي عينيه بريق ضئيل .

وعندما يبرح الدار يضع على رأسه شعراً مستعاراً ويلبس جوارب صوفية طويلة فهو يحتاط كثيراً لتبدلات المناخ الطفيفة خوفاً من تأثيرها في صدره الضعيف وراثياً .

وقد جعله الخوف من الامراض الصدرية يمكث في البيت اكثر فأكثر كلما تقدمت به السن .

تنازعته شتى العواطف عندما تسلم رسالة من الملكة كريستينا ملكة السويد تدعوه فيها الى الاقامة في بلادها ليعلمها الفلسفة لكن المناخ في السويد بارد جداً ويختلف كثيراً عن مناخ هولندا وربما يؤثر في صحته تأثيراً سيئاً لكنه من جهة اخرى يحرص على الانعام الملكي الذي لا يرد ولو من فيلسوف . والملكة كريستينا امرأة تحاول شق طريقها الى المجد حيث فقدت اباها غوستاف ادولفوس في السادسة من العمر فتدربت على اعمال الرجال منذ صغرها وأوصى الملك غوستاف بعرش بلاده الى ملك مستأنث لا الى ملكة مستذكرة .. - يقصد بالملك المستانث كريستينا باعتبارها قوية البنية كالرجال - فكانت تأنف أنوثة النساء وتهجرهن وتتجنب الزينة والتأنق . وترفع رأسها عالياً دون ان تضع عليه تاجاً وتلبس سترة قصيرة وثوباً عادياً وحذاء كعباه واطئان ويقلدها افراد حاشيتها بهذا اللباس ، وان اخلاقها متينة كالصلب وجسمها لا يقل متانة عن اخلاقها . تأكل قليلاً وتنام قليلاً وتتدرب كأنها جندي يستعد لخوض غمار المعركة فتستوي على صهوة جوادها عشر ساعات بلا كلل يلفحها الحر ويقرصها البرد وهي غير عابئة بذلك وتتقن الرماية اتقاناً عجيباً سواء كانت على ظهر جوادها او ماشية على الاقدام يضاف الى قوتها وشدة بأسها عقليتها الجبارة فكانت لغوية ماهرة تتكلم بطلاقة اللغة السويدية والفرنسية والايطالية والاسبانية والالمانية لكنها لاتعرف شيئاً عن اللاتينية والاغريقية . كانت تجد لذة كبيرة في دراسة العلوم وتميل بصفة خاصة الى الفلسفة واضف الى قوتها الجسمية والعقلية صفة اخرى وهي قوة الارادة .

رفض ديكارت دعوتها المرة تلو المرة غير ان رسائله اليها مليئة بعبارات المديح والتزلف فيقول في احداها « ان صاحبة الجلالة خلقت بمشيئة الله فوق مستوى البشرية . . » وقد توسل الى جلالتها بأن تقبل اعتذاره عن السفر فهو يفضل على حد تعبيره « تعريض جسمه الى اشعة الشمس على هذا الانعام السامي » ويقول في احدى رسالاته « كان لي الشرف العظيم بالدعوة الملكية السامية فقد غمرتني صاحبة الجلالة بفضلها . . وها انا ذا بعد مضي عشرين سنة قضيتها في عزلتي وبعد ان تقدمت بي السن استعطف جلالتها بأن تجنبني مشاق السفر . .

لكن صاحبة الجلالة لم تقبل اعتذاره فهي تحاول بشتى الوسائل اقناع فيلسوف عظيم على زيارة بلادها (حيث الدببة تعيش بين الصخور وبين الثلوج) وقد افلحت بحمله على السفر في تشرين الاول ١٦٤٩ فتوجه الى السويد . وقد مات بعد وصوله الى ستوكهولم بمدة قليلة فلم يكن ليقاوم مناخ السويد القارس فحسب بل ليقاوم ارادة كريستينا العنيدة فهي تعتقد ان الصباح الباكر خير وقت لدراسة الفلسفة فتلح عليه بالحضور في القصر قبل شروق الشمس فهذا الاستيقاظ المبكر في شتاء الشمال القارس حيث يتساقط البرد صعب جداً على فيلسوف الف في بلاده البقاء الى ساعة متأخرة في فراشه الدافيء مستغرقاً في تأملات الصباح . .

فذكر عن السويد يقول « يتجمد في هذه البلاد دم الانسان كما تتجمد المياه في الانهار » استطاع ديكارت ان يحيا على هذه الشاكلة مدة اسابيع قلائل . ففي يوم من ايام منتصف الشتاء عندما كان في طريقه الى القصر شعر بقشعريرة شديدة تسري في جسمه اصيب بعدها بيومين بمرض ذات الرئة فأرسلت اليه الملكة طبيباً المانياً لم يطمئن اليه عندما حاول اجراء عملية جراحية فقال « انك لاتستطيع سفك قطرة من الدم الفرنسي . . » لكنه وافق اخيراً على اجراء العملية فكانت بعد فوات اوانها .

ففي ١١ شباط ١٦٥٠ فتح ديكارت عينيه وسأل بصوت متهدج خافت كم الوقت ؟ . . الساعة الرابعة صباحاً وهو يتكلف النهوض . « حان وقت النهوض الملكة بانتظاري » لكنه غير قادر عليه فاستلقى على الفراش وهو يهمس « الوقت لمفارقة الروح . . انا روح حي . . . انا ابحث عن الحقيقة . . » .

مات ديكارت فلقي في موته الحقيقة وجهاً لوجه . . .

حلة - العراق　　عبد المعروف

السيدة دودوفان

●

كانت ماري دوفيشي شامبرون التي عرفت باسم السيدة دودوفان من اغرب النساء اللواتي عرفهن القرن الثامن عشر ، فقد اعطت نفسها للمتعة والبهجة والمرح ، ولكنها كانت تقبل على هذه المسرات بدافع الكآبة والالم اللذين يستبدان بها رجاء التحرر من نيرها الفادح ، وقد ظلت سوداوية المزاج دائمة القنوط على الرغم من حياتها الغارقة في الفرح واللذة .

ولدت سنة ١٦٩٧ من اسرة ارستوقراطية ، ومات ابوها وهي صغيرة السن فنشأت في دير المجدلية بباريس ، وخامرها منذ حداثتها شعور غامر بالضجر من الحياة ، ولازمها هذا الشعور طول عمرها . لقد كانت ترى ان الحياة تافهة كل ما فيها يدعو الى السأم والضيق فتترامى في احضان الحب ، ولكن الحب لا يزيدها الا سأماً من الحياة وضيقاً بها .

وقد زفت وهي في سن الثانية والعشرين الى المركيز دودوفان دولالاند ، فضاعف زواجها من سأمها وتبرمها ، لا سيما وان زوجها الشاب كان احمق غبياً ، فما عتمت ان اطلقت لاهوائها العنان ، وقادتها صلاتها الوثيقة بالطبقة الارستوقراطية الى البلاط فأحبها الوصي واستمرت علاقته بها بضعة عشر يوماً ، حاولا خلالها التحرر من الضجر ، اذ كان الوصي على غرارها ، كثير السأم من تفاهة الحياة ، بل كانت هذه الخلة شائعة في نفوس الكثيرين من أبناء ذلك العصر الذي بلغ اوجه وأوشك على الزوال ، وفي وسعنا القول انها صفة تلازم الطبقات المترفة ، المغرقة في الترف ، حين يستنفد النظام الذي تعيش في ظله كل حسناته ويأخذ في الجمود والانحلال .

ولاكت الالسن سيرة المركيزة ، وطفقت صديقاتها يبتعدن عنها ، لا لانهن اشد تمسكاً منها باهداب الفضيلة ، ولكن لانهن اكثر تستراً وتضليلاً ، فبدا لها ان تعود الى زوجها المدله بها ، ولم يكن ذلك عسيراً عليها ، لان علاقاتها الغرامية لم تكن علاقات وثيقة خليقة بان تبقيها بعيدة عنه ، وهي لم تعقد هذه العلاقات بدافع الحب او بدافع الميل الشديد ، وكانت تصرح دائماً بانه لا الحب ولا المزاج هما اللذان يدفعان بها في طريق الرذيلة ، فليس ثمة غير الضجر عدوها القاتل !

غير ان عودتها الى زوجها لم تدم طويلاً ، فما لبثا ان انفصلا بالطلاق ، وعاودت هي سيرتها الاولى .

●



السيدة دودوفان

وقد احب المركيزة دودوفان اناس كثيرون ، لما كانت عليه من جمال أخاذ ، وعينين متألقتين نافذتين ، وذكاء متوقد ، وظرف خلاب . وفي طليعة الاشخاص الذين شغفوا بها ، الرئيس هينولت ، وهو قاض وأديب بدأت علاقته بها سنة ١٧٣٠ وهي في سن الثالثة والثلاثين ، وكان يقول لها انها بالنسبة اليه شر لا بد منه .

وقد طالت عشرة السيدة دودوفان للرئيس هينولت ، وكانا يعيشان كزوجين سعيدين ، ويغشيان معاً المجتمعات الراقية والصالونات الشهيرة ، فتعرفت باكبر المفكرين في عصرها .

وفي سنة ١٧٤٧ هجرت منزلها بشارع بون واستأجرت جناحاً في دير سان جوزيف . وكان من عادة الاديرة ان تؤجر غرفاً او اجنحة للارامل والعوانس والنساء اللواتي لاازواج لهن ، فيقمن فيها ويستقبلن اصدقاءهن وكأنهن يعشن في منزل عادي لا صلة له بالدير .

وسرعان ماتحول جناح المركيزة دودوفان في دير سان جوزيف الى صالون انيق يضم اكبر الشخصيات ويغشاه ابرز المفكرين . ولكن الحياة كانت تخبىء لهذه المرأة التي اعجزها الظفر بالسعادة حتى في احضان الحب ، مفاجأة اليمة . فان عينيها النافذتين كعيني النسر بدأت تظللهما غشاوة تحجب عنها النور . وعبثاً حاولت وحاول اصدقاؤها انقاذ عينيها الجميلتين ، فان الاطباء ، وحتى السحرة والمشعوذين ، قد اعلنوا عجزهم عن مقاومة الداء .

وقد اجتازت ماري دودوفان هذه المرحلة من حياتها ، وهي ترى ذلك الظل يتكاثف يوماً بعد آخر بينها وبين العالم الخارجي ، دون ان تشكو او تتذمر ، ودون ان تعرب رسالة من رسائلها عن الهول الذي كان يجتاح نفسها ، وحين اعترف لها الاطباء اخيراً بعجزهم عن شفائها ، وخبا الامل الذي كان لا يزال يختلج في صدرها ، انطفأت البقية الباقية من النور الجميل الذي كان يتلألأ في عينيها ، ولم تعد ترى غير الظلام المتصل الحالك .

كانت السيدة دودوفان قد تجاوزت سن الخمسين ، فلما فقدت بصرها أخذ اصدقاؤها ينفضون عنها ، ولم يعد يغشى الصالون الانيق غير بضعة كهول من ابناء الطبقة الارستوقراطية . ثم شاء القدر ان يفجعها بالصديق الوحيد الذي اخلص لها حتى النهاية ، فذهب بالرئيس هينولت ، وتولى المرأة المسنة العمياء ، الحزن والجزع والضجر .

لقد عاودها الضجر على اشد ما يكون ثقلاً وكآبة ، وخيل اليها انها ستقضي ما بقي من سني حياتها في صحبة هذا الرفيق الذي لازمها طول عمرها وكانت تلوذ بالحب والمتعة لتنساه وتبتعد عنه ، فاذا الحب والمتعة يمضيان ولا يبقى غير الضجر يطالعها كل يوم وكل ساعة بوجهه المظلم الموحش المخيف .

بيد ان دودوفان ما لبثت ان عرفت الحب مرة اخرى . وقد عرفته هذه المرة بوجهه الصحيح ، وبقوته الغامرة ، وبعاطفته الصادقة المخلصة التي لم تخامرها قط مع كثرة ما احبت وعشقت او خيل اليها انها تحب وتعشق .

كانت قد بلغت سن الثامنة والستين ، وقد يئست من الحياة ، ورزحت تحت آلامها ، واخذت تستعد لنهايتها المحتومة . واذا برجل يدعى هوراس فالبول يقتحم حياتها ، فيخفق قلبها ، وتزهر على



الرئيس هينولت

خديها الجميلتان ، وترتجف اناملها الشاحبة كلما اخذ يدها بيده ليقبلها ، وتغدو الحياة في رأيها ساحرة اخاذة مرحة . ويبدأ القدر العابث قصة غرام على اروع ما تكون قصص الغرام روعة وعنفاً .

كان هوراس فالبول نبيلاً انكليزياً ، واسع الثقافة ، ظل عضواً في مجلس العموم طوال سبع وعشرين سنة ، فسئم السياسة وانصرف الى الآداب والفنون ، واقبل الى باريس ليتعرف برجال الفكر والظرف فيها ، وقد اختلف الى صالون السيدة جوفران وصالون الآنسة دوليسبيناس ولكنه لم يجد الطمأنينة التي ينشدها الا في صالون السيدة دودوفان .

وما كادت المركيزة تتعرف بفالبول ، وتصغي اليه ، وتبادله الحديث ، حتى شغفت به شغفاً عظيماً ، فكأن قلبها الذي لم يعرف الحب الصحيح طوال خمسين سنة قضتها في احضان الحب ، قد تفتح مرة واحدة وفاضت عاطفته المكبوتة كلها .

وكابدت ماري دودوفان آلام الحب ، وهي في تلك السن ، مثلما تكابدها فتاة في السابعة عشرة من عمرها . كانت تبكي وتضحك ، وتتألم وتفرح ، وتعاتب وتتوسل ، وتكتب الى صديقها : « لسوف تكون مرشدي في كل شيء ، فاني اريد ان اكون عزيزتك الصغيرة كما لو اني في سن الثالثة عشرة ! »

لقد عرضت عليه صداقتها فأجاب انه لا يؤمن بالصداقة التي تنشأ بين رجل وامرأة ، فعرضت عليه نفسها جميعاً . فتظاهر بانه لا يفهم ما تعنيه . ولكنه كان رجلاً صليباً رحيماً ، فكان يحيطها برعايته حناناً وشفقة . وكانت ترى مظاهر هذا الحنان وهذه الشفقة فتبتهج ولا تقنط من حبه .

وكان حبها يتعاظم ويعنف يوماً بعد آخر ، حتى خشي وهو يودعها ليعود الى انكلترا ، ان تكتب اليه رسائل لا تليق بسنها وبسنه على الاخص . لا سيما وان الغرفة السوداء في لندن كانت تفرض مراقبتها على الرسائل الواردة والصادرة على السواء . فتوسل

اليها ان تكون رصينة متحفظة ، واقسمت له الايمان على انها ستمحو من قاموسها جميع الكلمات التي تعبر عن الحب والميل والصداقة العاشقة. ولكنه لم يكد يبلغ لندن حتى تلقى منها رسالة تقول في مطلعها « ما دمت احدثك الآن دون ان يسمعني احـد ، فاني اريد ان اقول لك انه ليس في وسع امرأة ان تحب رجلاً مثلما احبك .» :

يا للسماء ! ان كلمة الحب هي الكلمة التي كان يخشاها اكثر من اي كلمة اخرى .

وضع الرجل الرسالة جانباً وبادر الى الكتابة اليها معاتباً ، واذا بها تغضب وتتألم وتكتب اليه قائلة :

« اني على استعداد لان انتزع عينيك اللتين يقولون انهما جميلتان. واني لابحث عن الشتائم التي يجب ان اوجهها اليك ، فلا اجد شتيمة تليق بك . الا فاعلم ، واحفظ ما اقوله لك جيداً : اني لا احبك اكثر مما ينبغي لي ان افعل ، فعد الي يا حبيبي ، عد الى باريس ، واسوف ترى اني سأكون كما تريد ولا اقدم على شيء الا برضاك وموافقتك».

وتلح عليه بان يعود ، ويزداد الحاحها شيئاً فشيئاً ، فهي تريد ان تجده الى جانبها وان تلامسه بيديها ، وتدمع عينا الرجل شفقة ويعود.

لقد سافر الى باريس خلال السنوات الخمس عشرة التي استمرت فيها علاقتهما ، اربع مرات ، وكان السفر شاقاً والانتقال عسيراً . وكتب لها اثناء ذلك ثمانمائة رسالة ، اما هي فقد بلغت رسائلها الف وخمسمائة رسالة .

وقد فاضت هذه الرسائل بأروع غرام واصدق عاطفة ، وكان فيها الغضب والرضا ، والالم والفرح ، والرجاء والغفران ، وكثيراً ما كان فالبول يوبخ صديقته على استرسالها معززوات قلبها ، فتجيبه باكية انه راض في اعماقه عن سلوكها ، سعيد بحبها له ، ولكنه يخشى الناس وفي سبيل المحافظة على سمعته بينهم يضحي بصديقة حقيقية كان في وسعه لو أنه اكثر طيبة واقل تحفظاً ان يمحو الشقاء والمرارة من حياتها ويغدق عليها الفرح والبهجة .

وفي رسائل السيدة دودوفان ، عدا ما تزخر به من حرارة الحب وصدق العاطفة ، صور شائعة لكثير من نواحي الحياة في عصرها ، وخواطر اجتماعية وادبية قيمة ، ويبدو منها انها كانت تعجب بفولتير اعجاباً منقطع النظير ، اما روسو فكانت ترى ان ادبه يتميز بالوضوح وينبض بالحرارة ولكنها وضوح البرق وحرارة الحمى ، فهي قارئة ممتازة ، وحين فقدت لذة الحب ، لم تجد ملاذاً لها من ضجرها غير المطالعة المتصلة .

ومرضت سنة ١٨٢٠ مرضها الاخير ، فكتبت الى هوراس فالبول رسالة تقول فيها : « اعتقد بان نهايتي قد اقتربت . وهكذا قضي علي ان اموت دون ان اراك . ولكني لست آسفة على شيء . فلا تحزن يا صديقي ، واستمتع بالحياة ما استطعت . ان كلا منا قد فقد صاحبه منذ وقت طويل . ولكنك ستأسف لموتي لان من مباهج الحياة ان يشعر المرء بأنه محبوب » .

لقد كانت الجملة الاخيرة رائعة بعمقها وصدقها ، فـاذا كان هوراس فالبول لم يبادل صديقته الفرنسية عاطفتها ، فقد كان سعيداً على الاقل ، لشعوره بانها تحبه هذا الحب كله ، وبانه استطاع ان يثير في قلبها هذه العاطفة الملتهبة ، ولقد اسف لموتها حقاً ، وبكى عندما بلغه نعيها ، وحين علم انها قد تركت كلباً كانت تخصه بعطفها رغم مساوئه الكثيرة ، وان هذا الكلب لا يجد من يعنى به بسبب هذه المساوىء نفسها ، بادر بالكتابة الى باريس لارسال الكلب اليه ، قائلاً بانه سيعنى به ويحرص عليه دون ان يحاول اصلاحه لان السيدة دودوفان قد احبته على نقائصه جميعاً .

ويضحك القدر العابث مرة اخرى .

فان هوراس فالبول ما كاد ينجو من الشباك التي نصبتهـا له السيدة دودوفان ، حتى وقع في شباك فتاتين فرنسيتين التقى بهما في باريس قبيل الثورة الفرنسية ، وقع في شباكهما دون ان تنصباها له . وكان فالبول قد بلغ سن الحادية والسبعين ، اما الفتاتان وهما اختان بارعتا الجمال ، فقد كانت كبراهما في العشرين من عمرها . ويعشق فالبول الفتاتين اللعوبين ، ويتدله بحبهما ، ويردد هو مثلما كانت تردد السيدة دودوفان : « يا عزيزتي الصغيرتـين . يا ابنتي الحبيبتين . . ! » وتبتسمان هما في مرح ودعابة وسخرية . ولم يدم هذا الحب طويلاً ، فقد توفي فالبول بعد قليل ، تاركاً لهما ثروته كلها .

هوراس فالبول

خليل مطران الذي اعرفه

بقلم وديع فلسطين

●

منذ سنتين أو يزيد قليلا ، تلقيت رسالة من الاستاذ البير أديب يرجوني فيها ان اتصل بالاستاذ خليل مطران في شأن من شؤون « الاديب » ، وكان الخليل يومئذ يمضي فصل الشتاء في فندق « اكسلسيور » في حلوان ، فلم أر بدأ من الكتابة اليه راجياً منه التفضل بالرد على رسالتي .

ومضى شهر او نحوه لم أتلق فيه جواباً ، فقلت : لعل له عذراً ، ولعلي غافر له .

وذات صباح دق التليفون في مكتبي وقال محدثي : كيف حالك ، ألا من سبيل لرؤياك فاني اقرأ لك كثيراً وارجو لقياك .

فقلت : ومن السائل ؟

أجاب : خليل مطران.

وفي اليوم نفسه زرت الخليل في داره عند ملتقى شارعي فؤاد الاول وسليمان باشا ، فاحتفى بي حفاوة أخجلت حيائي وأسكتت لساني وجعلتني عاجزاً عن ان أفوه بحرف . فقد اخذ الخليل يتحدث عني حديث العارف المتتبع التواّق .

قلت له واللسان يتلعثم : معذرة فقد ازعجت شيخوختكم وأضجرت خلوتكم في فندق حلوان وقطعت عليكم حبل راحتكم .

فكان رده قصة طويلة ، قصة بدأت بالاعتذار عن الابطاء في الرد على رسالتي ، وانتهت بترديد الاعتذار ورجاء المغفرة . .

اما القصة ، فهي قصة نفس تشقى ، وانسانية تتعذب ، وروح تريد ان تفيض الى بارئها فتقف في الحلق ، وآلام لا كتب الله لاحد مثلها .

فقد كان خليل مطران في الصيف السابق لذلك الشتاء يمضي اياماً في ثغر الاسكندرية في فندق « وندسور » المطل على البحر ، يستروح نسمات الفضاء العليلة ويرسل البصر الى آفاق تمتد مع البحر المتوسط حتى تندمج زرقته في زرقة السماء . وكان الخليل يستطيب هذه المناظر الخلابة ، ويهوى ذلك الهواء الطلق العارم بالنشوة ، فلم يفطن الى انه اسرف في التعرض لذلك التيار وان آلاماً بدأت تدب في مفاصله . ولم يكن في طاقة مطران ان يبقى في الثغر طويلا ، فشد الرحال الى القاهرة يتداوى ويتطبب ويتلمس العلاج حتى اذا ما وفد الشتاء بلعناته كانت العلة قد تأصلت ، وكان الداء قد تشبث بساقي مطران ، وكان « الروماتزم » قد شدد النكير على فريسته . فانتقل الخليل الى حلوان على ما أسلفت .

وفي حلوان ذات الهواء الجاف والشمس الحارقة الشاوية ، امضى مطران شتاء لم يعرف له من قبل مثيلا ، يومه يمضيه مستلقياً في الشمس ماداً ساقيه لا يعبأ به احد ، ولا يحفل به انسان . حتى الندل والخدم كانوا يدعونه في رقدته لا يمد له احد منهم يد عون . وفي الليل يأوي الى حجرة نومه في الفندق فلا يطرقها عليه طارق ولا يسأل احد عن حاله .

اربعة اشهر في اعتكاف تام عن الدنيا وعن الاهل وعن الصحاب لا يدري احد عن الخليل شيئاً ، ولا الخليل بقادر على ان يسعى لانباء غيره على قدميه . فقد استعصى عليه ان يسير على قدميه وباتت العكازتان وبعض الخدم ارجلا له تحمله حيث اراد وحيث تكون الشمس .

اما الآلام البدنية والنفسية التي عركته ، فليس في الطاقة تصويرها ولا حسبانها . يصفها خليل مطران بنفسه قائلا : احسست في هذه المدة بأسرها ان هناك قصاباً يحمل مدية حامية ولا هم له في الليل ولا في النهار سوى ان يقطع بها ساقي وقدمي و « يبضع »

بها بقلب متحجر ونفس خلت من ضمير وعينين لم تعودا تعرفان الشفقة .

وذات مساء ، استيقظ خليل مطران في فندقه ، فاشفق على نفسه من الوحدة القاتلة ومن الآلام المبرحة ، وتذكر ان اياماً مضت دون ان يجد من يحدثه او يتحدث معه ، وتاق لسانه الى الكلام ، فما كان منه الا ان قطع صمت الليل بأغنية بدوية اخذ يغنيها بصوت مرتفع ليرفه بها عن نفسه وليذهب وحشة العزلة وليطمئن نفسه بأن فيها روحاً لا تزال تخفق ولساناً لا يزال ينشد الكلام.

والاغنية تقول :

سكرنا بدا الهوى ما عدت نصحى	نصحتك يا جلب ما جبلت نصحي
ونص الحي باقي للعذاب	وجسمي صار نص ميت ونص حي

ثم قال الخليل : لعلك بعد ذلك تعذرني ، فقد كنت مولياً وما كانت يدي قادرة على ان تخط حرفاً .

***

ومضت الايام ، وانا احج الى خليل مطران في داره ثم في النادي الشرقي ، ثم في مينا هوس ، ثم في داره ثانية بمعدل مرة في كل اسبوع ، زرته جماعة وزرته وحيداً ، فكنت في كل مرة اودعه ، امسح دمعة تترقرق في العين واقول : يبدو ان هذه آخر مرة التقي فيها بالخليل . فقد كانت العلة تزداد كل يوم استشراء ، كان يستطيع السير على عكازين من اكتاف الرجال ، ولكنه عجز عن ذلك ، وكان يستطيع ان ينتقل بالسيارة الى النادي الشرقي ثم تعذر عليه ذلك ، وكان يستطيع ان يبرح فراشه الى مقعد مريح مجاور له فلم يعد بقادر على ذلك ، واخيراً لزم الفراش اربعين يوماً او نحوها كانت خاتمتها ختاماً لحياة الخليل امير الاخلاق في الشرق وشاعر القرن العشرين بغير نزاع ونابغة جيله ومفخرة زمانه .

وكانت كل جلسة من جلسات مطران ، مائدة عامرة بالشهي من الحديث ، العذب من الوانه . فكان الخليل يتحدث حديثاً صادقاً اميناً يجري على سجية من الصفاء ، ويميط اللثام عن نفس عفة وقلب شرفه الله بالحب ووجدان صحا حذر الغفلة والزلق .

كان خليل مطران يقول عن كل شاعر انه مرجو لوطنه مأمول لنهضة لغة الضاد . فاذا قيل له ان احدهم غث الانتاج هش النظم قال : ولكنه غداً يبلغ التمام ويدرك النضج .

فما عرف مطران عوداً ليناً الا ثبته وعزز اصوله وسند فروعه لكي يجعل النبتة الصغيرة شجرة ذات فروع باسقة يستظل بها كثيرون ، كذلك درج ان يكون معواناً لكل مبتدىء وكل صغير شأن ، نافحاً في هذا روح حماسة وفي ذاك روح تشجيع متطلعاً دائماً الى ما يحقق للادب وللعروبة غاية الخير .

ولعل القراء يعلمون ان اعظم دراسة كتبت عن خليل مطران كانت بقلم اديب شاب هو الدكتور اسماعيل ادهم . فقد درس هذا الباحث المحقق ادب مطران وقابله بآداب الغرب وآداب الشرق واعد عنه سفراً نفيساً كان مفاجأة غير منتظرة للمكتبة العربية منذ بضعة عشر عاماً . ولم يكن ادهم يعرف مطران ولا كانت بينهما صلة ، لذلك بوغت الخليل بهذا الكتاب يصدر لا زلفى ولا رياء ولا للتدريس ، وسعى على الفور الى لقاء اسماعيل ادهم فكان اللقاء الاول والاخير فقد كان اسماعيل ادهم يشكو الاملاق ولما اسودت في وجهه الدنيا قفز في اليم فغاص الى قراره .

وهنا يقول مطران : يا لفجيعتي في ادهم ، كنت اريد له نهاية غير هذه النهاية ، وكنت ارجو له ارتقاء في معارج المجد الادبي ، وكنت انشد ان اقدم له يداً تفتح امامه المسالك الموصدة . ولكن المنية سبقت فكانت كلمتها الفاصلة .

ولم يفتأ مطران يردد اسم اسماعيل ادهم ، لانه يرى نفسه مديناً له بكثير . وما كان ادهم الا دافع جزية سبق بدفعها نيابة عن جيل يقدر لمطران قدره ، فلما اداها راضياً مرضياً ولى الى حيث اختار نهايته .

سألت مطران يوماً عن مذكراته فقال : لقد احرقتها لانها غير ذات بال ولانني لم استطع ان ادونها بما يرضي اصدقائي من ولي منهم ومن لم يول .

قلت : فلتنشر بعد عمر طويل .

قال : ان ما يتحرج المرء عن اذاعته في حياته يجب ان يتحرج عن نشره بعد وفاته

وذات يوم جاءه وفد من احدى الجمعيات الخيرية الدينية يطلب منه اعداد قصيدة لتلقى في حفل عام . وكان مطران في حالة استبد به فيها المرض حتى كاد لهوله يصعقه . ولكنه لم يرفض الدعوة ولم يصرف الزائرين ، وفي اليوم التالي ارسلت القصيدة العصماء لتلقى في الحفل بين تصفيق المصفقين واعجاب المعجبين ، وما درى احد من الذين سمعوا انشادها ان خليل مطران نظمها وهو الى الموت اقرب منه الى الحياة ، نظمها ورأسه لا يكاد يكون متصلاً بجسمه . فقد كان خليل مطران في العامين الاخيرين من عمره يشكو ألماً في كل جزء من اجزاء بدنه : اذا صافح احداً تألم ، واذا فتح

عينيه تألم ، واذا هز رأسه توجع ، واذا تقلب في مقعده او فراشه تقلب كما لو على جمر . ولكن مطران كان مجالداً مصابراً فتميز بذلك على ايوب ابي الصبر والجلد .

وعندما طبع الجزء الثاني من ديوان الخليـل ، قال لي خليل مطران : تكفيني نسخة واحدة من الديوان اهديها الى صالح . وصالح هذا هو السكرتير الذي كان ينسخ شعر مطران ويراجعه ويرتبه بالاشتراك مع « لجنة تكريم الخليل » .

وكان الخليل يطلب الصحف حتى ايامه الاخيرة ، لا ليقرأها فلم تعد صحته تحتمل ذلك ، بل ليعرف مَن من اصدقائه رزىء في قريب فيعزيه بالبرق ، ومن منهم اقبلت عليه الدنيا فيهنئه . فقد كان خليل مطران مفطوراً على الوفاء ، تجري دماء الاخلاص في دمه عن سليقة وسجية ، وما ذلك بغريب عن أديب تحدر من ارومة النبلاء وخرج من اصلاب الشرفاء من اقطاب الشرق . ولما رأى اهله ان الخليل يتأثر كثيراً بفقد رفاقه واصدقائه ، عمدوا الى اخفاء الصحف عنه حتى لا تزداد حالته الصحية ضيقاً نفسياً ، وحتى يظل نائياً عن كل ازمة تجيء في ركاب الحزن الممض .

ولكن خليل مطران كان يتشبث برأيه ويصر على طلب الصحف وتلاوة انباء المجتمع ومناعي الناس .

وحدث اخيراً ان انتقل الى مولاه المغفور له نجيب الغرابلي باشا ، وكان هذا صديقاً حميماً لمطران واخاً وفياً له واديباً يبادله مطران اعجاباً باعجاب . فلما نعاه الناعي في الصحف واطلع عليها خليل مطران بكاه بالسخين من الدمع واخذ منه التأثر كل مأخذ حتى فجأته ازمة خشي الاطباء مغبتها وحسبوه يلفظ آخر انفاسه . ولكنها كانت ضائقة طارئة وات ، ومع ذلك لم تستطـع ان تصرف مطران عن طلب الصحف لانه عاد بعد الظهيرة يطلبها ويلح في تلاوتها ليشارك اصدقاءه محنهم ومسراتهم .

اما آخر قصيدة لخليل مطران ، فقد نظمهـا في اواخر يوليو (حزيران) ١٩٤٧ وكانت في رثاء المغفور له المطران بولس سلمان مطران شرق الاردن . وسبق هذا الرثاء قصيدة اخرى نظمها في رثاء انطون الجميل باشا ايام كان يستشفي في حلوان ، ولكنه لم يستطع نشرها في حينها فنشرتها الاهرام في اوائل عام ١٩٤٩ في مناسبة مرور العام الاول على وفاة الجميل باشا .

والقصيدة الاخيرة لمطران مطلعها :

بالامس كنت تعوده ونعيد	يدعوك معتـل وانت بعيد
نسيانـه التصويب والتصعيد	عز العزاء على السقيم يلج في
أو لم تفارقهـا وأنت شهيد	أأبا المروءة ان خطبك خطبها
لا النوح يشفيها ولا التعديد	تشفى الجسوم وبعد نأيك أنفس
أنّى يعزيهـا وأنت فقيد	رزئتك طائفة يحار محبها
فنمت وما بفروعها تأويد	كانت بعهـدك أسرة قومتهـا

وختم الرثاء بقوله :

والامر أمر الله حين يريد	يـا من نودعه انجزع للنوى
فلذكره الاكرام والتخليد	من خص مثلك بالمروءة عمره

***

هذه اوراق التقطتها من مفكرة الذاكرة عن فقيد الادب والعروبة والاخلاق الاب والاخ والصديق خليل مطران بك . فالى غد قريب ارجو ان تتسع فسحته للكتابة عن الخليل الوفي النبيل امل الانسانية الذي غيبه ظلام القبر .

القاهرة — وديع فلسطين

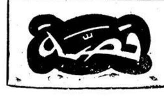


حزن

على من يجب ان اقص حزني

انطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب





الوقت غسقاً ، وكان ثلج رطب ثخين يدور ببطء حول مصابيح الشارع المنارة حديثاً ، ثم ينبسط طبقات رقيقة ناعمة ، على السطوح وظهور الافراس وأكتاف المارة وقبعاتهم . وكان سائق العربة « ايونا بوتاكوف » ابيض تماماً يشبه الخيال . وقد انطوى على نفسه بقدر ما يستطيع الجسم الانساني ان ينطوي . وجلس على مقعده دون ان يأتي حركة ما . وكان يبدو ان لو سقطت عليه كتلة من الثلج لما رأى من الضروري ان ينفضها عنه . وكذلك ، كان حصانه الصغير ابيض لا يأتي بحركة . وكان جموده وتصلبه وأطرافه الشبيهة بالخشب المستقيم ، والمنضمة الى بعضها ، تعطيه مظهر حصان هزيل ، لا يساوي اكثر من « كوبيك » واحد . وكان هو الآخر ، من دون اي شك ، غارقاً في تفكير عميق . والحق انك انت نفسك ، لو خطفت بعيداً عن محراثك ومحيطك الاغبر العادي ، والقيت وسط هذا المعمعان الصاخب ، المليء بالانوار الشيطانية ، والضجة غير المنقطعة ، والناس المسرعين جيئة وذهاباً ، لوجدت انت ايضاً ، كم يصعب عليك عدم التفكير .

وقد مرت حتى الآن ، مدة طويلة على ايونا وحصانه لم يتحركا خلالها من موضعهما قيد انملة . وكان ايونا قد ترك داره قبل الغداء . وحتى هذه الساعة لم يوص بأية « توصيـة » . وقد بدأ ضباب المساء يهبط على المدينة فتحل انوار المصابيح الباهتة ، محل اشعاعاتها اللامعة ، بينما اخذت ضجة الشارع تزداد ارتفاعاً .

وفجأة ، طرق سمع ايونا صوت يقول « عربجي ، الى طريق فيبورغ يا عربجي ، هل انت نائم ؟ هيا بي الى طريق فيبورغ » . وينتفض ايونا ، ليرى ، من خلال غطاء عينيه المكسو بالثلج ، ضابطاً في معطف فضفاض ، وقبعته على رأسه . . . ويعود الضابط يقول « الى طريق فيبورغ . هل انت نائم ؟ . هيا الى طريق فيبورغ » .

ويمسك ايونا عنان الحصان ، مومئاً بالموافقة ، فيسقط بنتيجة ذلك ، الثلج عن ظهر الحصان ورقبته . ويأخذ الضابط مكانه في العربـة . بينما يصوت ايونا بشفتيه مشجعاً حصانه . ثم يمـد عنقه كالاوزة ، ويعدل جلسته ، ويلوح بسوطه ، بتأثير العادة – اكثر منه بتأثير الضرورة – . وكذلك يمد الحصان الصغير رقبته ، ويطوي ارجله الشبيهة بالخشب ، ويتحرك متردداً .

وفي الطريق ، سمع ايونا صوتاً من تلك الكتل المتحركة ، ذهاباً واياباً .

– ماذا تفعل يا هذا ؟ الى اين انت ذاهب ؟ بحق الشيطان . اذهب نحو اليمين ، نحو اليمين . ويصيح الضابط غاضباً .

– الا تعلم كيف تسوق ؟ سر الى اليمين دوماً . ويشتمه صاحب عربة اخرى ، وينظر اليه احد المارة ، الذي كان يحاول عبور الطريق ركضاً . فمسح كتفه بأنف الحصان ، بعنف شديد ، وهو ينفض الثلج عن مرفقه .

ويبدل ايونا من جلسته ، وكأنه يقعد على ابر حادة . ثم يحرك يديه ، كمن يريد الاحتفاظ باتزانه . ويتثاءب كمن يريد ان يعطس وكمن لا يفهم ، لماذا هو هنا ! وكيف جاء الى هـذا المكان ! . ويقول الضابط مازحاً .

– يا لهم من خبثاء ، ان الانسان ليظن انهم قد اتفقوا جميعاً على ان يضايقوك ، او يقفوا تحت حصانك .

ويستدير ايونا نحو الضـابط ، ويحرك شفتيه . انه بكل تأكيد يريد ان يقول شيئاً . ولكنـه لم يخرج من بينهما الا آهة . ويسأل الضابط . « ما الامر ؟ » فيلوي ايونا فمه بشكل ابتسامة ، ويبذل جهداً كبيراً حتى يقول ، بصوت مبحوح :

– لقد مات ولدي هذا الاسبوع .

– حم ، وما سبب موته ؟ فيستدير ايونا بكل جسده نحو الضابط قائلاً .

– ومن يعلم ؟ يقولون بتأثير حمى شديدة ، لقد بقي ثلاثة ايام في المستشفى ، ومن ثم مات ، فلتكن مشيئة الله .

ويعلو صوت في الظلمة يقول : « استدر ، يا للشيطان ، هل فقدت صوابك ايها الكلب الهرم . هلا تستعمل عينيك » ؟ .

ويجيب الضابط . « تابع . تابع ، والا لما وصلنا الى هناك حتى الغد . اسرع قليلاً » .

ويعود السائق عن عنقه ، ويجلس جيداً على مقعده ، ويهز سوطه مكرهاً . ثم يستدير بعد ذلك ، عدة مرات يلقي نظرة على زبونه . ولكن هذا الاخير ، كان قد اطبق جفنيه ، وكأنه يعبر بذلك ،عن عدم استعداده لان يسمع شيئاً .

وبعد ان اوصل ايونا الضابط الى فيبورغ، وقف بجانب مقهى. وطوى نفسه على مقعده، وبقي هكذا دون حراك من جديد بينما اخذ الثلج مرة ثانية يغطيه مع حصانه .

وتمر ساعة ، ثم اخرى . . . وفجأة على طول الطريق ، يتقدم ثلاثة شبان يصرخون ويتخاصمون . وكان اثنان منهم ، طويلين هزيلين ، واما الثالث فقصير ، وذو نتوء في ظهره . وصاح احدهم بصوت جهوري . « عربجي ، الى جسر البوليس ، ثلاثتنا بعشرين كوبيكاً » . ويمسك ايونا بالعنان ، ويصفر بشفتيه . وبالرغم من ان عشرين كوبيكاً ، ليست بالاجر الحسن، فليس مما يهمه اكان هـذا الاجر روبلاً كاملاً ، او خمسة كوبيكات فقط . ان كل شيء اليوم سواء ، بالنسبة اليه ، ثم انهم زبائن عابرون .

ويقترب الشبان الثلاثة عن العربة ، وهم يتدافعون ويتشاتمون بكلام بذيء. ويحاول ثلاثتهم دفعة واحدة ان يجلسوا على المقعد . ثم يدور بينهم نقاش حـاد حول الذي سيبقى واقفاً . والذين سيجلسان . وبعد ان اختلفوا ، وسب كل منهم الآخر، قر رأيهم على ان يبقى ذلك الاحدب واقفاً ، بما انه اصغر حجماً منهما . ويقول الاحدب بصوت مدو، وهو يأخذ مكانه في العربة الصغيرة، ويزفر في عنق ايونا « هيا اسرع » .

— ولكن يا رفيقي، اية قبعة هذه التي حصلت عليها،وحقك ليس هناك اسوأ منها قبعة في بطرسبرج كلها .

— هي هي هي . يضحك ايونا ، مثل هذه .

— والآن يا « مثل هذه » اسرع . هل ستقطع الطريق كلها بهذه الخطى . هل انت ؟ اتريدها (الصفعة) على نقرتك ؟ .
ويقاطعه احد الطويلين قائلاً .

— أشعر برأسي وكأنه يحترق. لقد شربنا انا و« ناشكا »ليلة امس اربع زجاجات كونياك بكاملها . فيجيب الثاني بغضب . .

— انا لا اعلم لاي سبب تكذب . انك تكذب كحيوان .

— فليضربني الرب، ان لم تكن الحقيقة بعينيها .

— انها لحرية بان تكون حقيقة . بقدر ما يكون سعال « القمل »حقيقة . ويعلو صوت ايونا ضاحكاً .

— ها ها ها . يا لهم من شبان مرحين ولكن الاحدب يصيح باشمئزاز . « كفى ، اذهب الى الشيطان ، هل ستقطع الجسر ام لا ؟ ايها الطاعون اللعين ، اهكذا يسوق الانسان ؟ استعمل السوط قليلاً ، اسرع بحق الشيطان » . ويشعر ايونا وراءه بالرجل الصغير ، يهتز بشدة ، وفي صوته رجفة ، ويستمع الى الشتائم الموجهة اليه . ثم يدير نظره في الناس ويأخذ شعوره بالوحدة يزايله رويداً رويداً . بينما يتابع الاحدب شتائمه ، ولا يتوقف عن المضي فيها ، الا حين تداهمه نوبة شديدة من السعال. ويبتدىء الشابان الطويلان ، يتكلمان عن امرأة تدعى « ناديجدا بتروفنا » . وينظر ايونا نحوهم مرات عديدة ، منتظراً صمتاً مؤقتاً ، حتى اذا كان له ما اراد ، التفت نحوهم وهمس : « ولدي ، مات هذا الاسبوع » فيجيب الاحدب ، وهو ينشف شفتيه اثر نوبة سعال . « لا بد لنا من ان نموت جميعاً . والآن اسرع . يا سادتي انا لا استطيع ان اذهب ابعد من هذا على هذا الشكل ، ليت شعري متى سيصل بنا الى هناك » . فيجيب احدهما .

— حثه في عنقه قليلاً على الاسراع . . ويأخذ الاحدب بشتمه ، ويصفعه على رقبته .

— ايها الطاعون اللعين . افلا تسمع ؟ اسرع والا حززت لك رقبتك . اذا اراد الانسان ان يعامل امثالك باحترام فالافضل له ان يذهب سيراً على قدميه . اما ايونا فقد كان يسمع رنات الصفعات التي كان يكيلها له الاحدب ، اكثر مما كان يشعر بها . ويضحك ثم يقول « حقاً انهم لسادة مرحون ، حفظهم الله » .

ويسأله احد الطويلين « عربجي ، هل انت متزوج » .

— انا ؟ ها هـا ايها السادة المرحون . الآن ليس لي سوى زوجة واحدة ، هي الارض الرطبة . ها ها اريد ان اقول القبر ، لقد مات ولدي . وانا ما ازال حياً . حقاً انه لشيء عجيب ، ان يضل الموت الطريق . فعوضاً من ان يأتي الي ، ذهب الى ولدي. ويلتفت ايونا نحوهم ، يريد ان يروي ، كيف مات ولده. ولكن الاحدب يعلن في هذه اللحظة . وهو يرسل من فيه زفرة قصيرة . « لقد وصلنا اخيراً الى وجهتنا . شكراً وحمداً لله».

ويراهم ايونا يختفون في البوابة المظلمة . ومرة اخرى يعود وحيداً . ومن جديد يعود السكون يحيط به . ويعود اليه حزنه الذي كان قد تضاءل لمدة قصيرة . فيغمر قلبه بقوة اشد من

السابق اليس من انسان واحد يود سماع قصته ؟ .ولكن الجموع تمر بسرعة دون ان تلاحظ حزنه .ومع ذلك فانه حزن عظيم لا حدود له . .ويبدو له ان قلبه لو انفجر ، وانطلق الحزن الكامن فيه ، لغمر الارض كلها ، ومع ذلك فان احداً سواه لا يراه ، او يشعر به . ان هذا الحزن ، قد سعى كي يختبىء نفسه في ملجأ عديم الاهمية ، الى درجة ان لا يستطيع مشاهدته احد حتى في وضح النهار ، وبمساعدة النور .

ويرى ايونا حمالا ، وعلى كتفه بضعة اكياس صغيرة ، فيقرر التحدث اليه . .

— كم الساعة الآن ، ايها الصديق ؟ .

— اكثر من التاسعة ، ولكن لمَ انت واقف هنا ؟ هيا تحرك الى غير هذا المكان .ويتحرك ايونا بضع خطوات .ويعود فينطوي على نفسه ، ويترك لحزنه العنان . انه يدرك اخيراً ان توجهه الى الناس طلباً للمعونة ، لا طائل تحته ، فيعود بعد اقل من خمس دقائق ، فيشد قامته ، ويمسك برأسه وكأنه يشعر فيه بألم عنيف . ثم يأخذ بالعنان بين يديه ؟ انه لا يستطيع ان يتحمل اكثر من هذا . ويهمس لنفسه « الى الاسطبل » . وينطلق الحصان خبباً ، وكأنه قد ادرك ما يجول في خاطر سيده .

ويجلس ايونا بعد ساعة ونصف الساعة ، امام مدفأة علتها الاوساخ والاقذار . وحول هذه المدفأة ، على الارض ، وفوق البنوك ، اناس يشخرون . ان هواء الغرفة ثقيل وحار ، بشكل خانق .

وينظر ايونا الى النائمين ، ويحك جلده ، انه يأسف لعودته باكراً جداً . ويقول في نفسه « انني لم اكسب اليوم ، حتى ولا ثمن علف الحصان ، وهذا هو بكل تأكيد سبب انزعاجي . ان رجلا يعرف عمله حق المعرفة ، ويملك الطعام الكافي له ولحصانه يستطيع دوماً ان ينام بهدوء . وسلام » ويتحرك سائق آخر في احدى الزوايا . ويجلس نصف جلسة ، ويتململ قليلا ثم يسحب نفسه نحو وعاء ماء ، فيسأله ايونا .

— أتريد جرعة ماء ؟

— كلا ، لا اريد ماء !

— حقاً ، ولكن استمع لي ، انت تعلم ايها الصديق ان ولدي قد مات . هل تسمع ؟ لقد مات هذا الاسبوع في المستشفى ، انها قصة طويلة . وينظر ايونا كي يرى اي اثر تركت كلماته . فيرى الرجل وقد اخفى وجهه ، وعاد من جديد يغط في نومه .

ويزفر الرجل الشيخ ، ويحك رأسه . فمثلما كان الرجل الشاب يريد ان يشرب ، هكذا الشيخ ، يريد ان يتكلم . ولن يمر وقت طويل حتى يكون قد انقضى اسبوع على وفاة ولده . ومع ذلك فلم يتمكن من ان يتحدث عن ذلك ، كما يجب لاي شخص كان . . . ان عليه ان يرويها بترو واعتناء . كيف سقط ابنه مريضاً ، وكيف تعذب . وماذا قال قبل ان يموت ، ثم كيف مات . ان عليه ان يصف كل شاردة حدثت اثناء التشييع . والرحلة الى المستشفى لجلب ثياب المرحوم . الم تبق ابنته انيسيا في القرية ؟ ان عليه ان يتكلم عنها ايضاً . ان عنده اذن ما يتكلم عنه . ولا شك في ان المستمع سيتأوه ويزفر لحديثه ، وسيتأثر معه . ومن الافضل ايضاً ان يتحدث بهذا الامر الى النساء ، فبالرغم من بلاهتهن . فان كلمتين تكفيان لان تبكياهن ويقول ايونا لنفسه . « سأذهب ، واعتني قليلاً بالحصان . فما يزال هناك وقت كاف للنوم . ولا خوف علي من ذلك » .

ويرمي ايونا معطفه على كتفيه ، ويذهب الى حصانه في الاسطبل ويفكر في الشعير والعلف والطقس ، انه لا يجسر على التفكير في ولده عندما يكون وحيداً ، انه يستطيع ان يكلم اي شخص عنه . اما ان يفكر فيه ويتمثله في خاطره ، فذلك يؤلمه بشكل لا يطاق . وسأل ايونا حصانه ، وهو ينظر الى عينيه البراقتين :

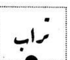
— هل تأكل جيداً . ؟ هيا تابع تناول طعامك . فبالرغم من اننا لم نكسب اليوم شيئاً كي نشتري به شعيراً ، فاننا نستطيع ان نأكل تبناً . نعم ! انني قد شخت كثيراً . حتى لا استطيع ان اسوق . ان ولدي كان يستطيع ذلك . وليس انا . لقد كان سائقاً من الدرجات الاولى لو انه فقط كان قد عاش . . ويصمت ايونا لحظة ثم يتابع .

— هذا ما حدث يا حصاني . لم يعد هناك من يدعى « كوزما ايونيتش » . لقد تركنا وذهب بعيداً . والآن دعنا نفترض ، ان عندك مهراً وانك ام لهذا المهر . وفجأة — لنفرض ذلك — ذهب هذا المهر ، وتركك تحيا بعده . انك ستكون حزيناً . اليس كذلك ؟ . ويمضغ الحصان ما في فمه ، ويستمع ثم يزفر على يد سيده .

ان مشاعر ايونا ، لاشد من ان يتحملها وحده . حتى انه لم يعد يستطيع لها كتماً . فيميل على الحصان ، يروي له القصة بكاملها .

دمشق — سهيل ايوب

تراب



قيل لي : انت حفنة من تراب ! فاقشعرت بكبرياء جراحي
قلت لا ، لن اكون طيناً من الطين ، انا من سلالة الارواح . !
وتشددت . وافتديت خلودي ، وطماح المنى .. بأغلى الاضاحي
بدمي ، بالحبيس من نازعاتي ، برؤى الليل ، وابتهاج الصباح
وتغنيت للوجود بشعر اتحدى به الزمان الماحي
وادعيت السمو : حقاً . لقد حلقت لكن - من التراب جناحي . !

بغداد — محمود البريطاني

الى اخي ...

اهاجت بك الذكرى لمعسولة حوا ام اعتدت مراهجر فارتحت للنجوى
حنانك بعض الجهد - يا صب - فالهوى يهب كما يهواه ، لا مثلما تهوى
افانين هذي الروح .. نكبا . بعضها وبعض يوافيك الجنوب بها رخوا

***

فديتك . لا تعنى بأول عارض فما اللذة الكبرى سوى النهية القصوى
لان كان هجراً جالباً لك داء . فذاك دواء في النهاية لا ادوا
فرب حبيب مظهر لك صده يعاكس قلباً في غلائله يضوى
اينهل منك الود تصفيه مشرباً وتعطي مقاداً بعد ذلك لا يلوى
فلا هو عن حبيك تجديه سلوة ولا انت بالسالي لايامه الفنوا
وليس بناديه وان كان زاخراً بكل اخي حب تمرس بالبلوى
كمثلك للنارين نار صبابة ونار بها تكوي العذول ولا تكوى
ومثلك لليومين يوم شدائد ويوم به يستمطر المن والسلوى
ومثل يراع في بنانك مشرع على نحو هز الرمح ساعده الاقوى
ينث دما في حالة وباختها ينشر ورداً عن شمائله يروى

***

لك الفكر رفافاً على كل زاهر صباحاً يشيع النور او ينشر الشذوا
تنقل في الاجواء للنجم واهباً تألقه والطير في روضها شدوا
يطوف أيجنى او يطوف ليجتني فيروي غليلاً من مجانيه او يروى
لك الذوق كاليعسوب عند خلية يقط غريباً شم من فيه ما يحوى
تخير للاسماع اشهى تلفظاً واعذب جرساً من محجلة نشوى
فللعين ما ترتاح فيه مسارحاً مدى العين ما تجلو بمنظره العشوى
وللعقل ما يسمو بذي العقل صاعداً الى الافق الاعلى الى ساحة النجوى
اناتك . ان الصبر اهدى محجة الى الهدف الاسمى الى قلب من تهوى

جدة — محمد رضا شرف الدبه

فورة الامس

اي نور يضيء عينيك زهواً ان تريني بي مع الاشباح !
اترى تملأين نفسك يأساً ثم تروين يأسها من جراحي ؟
اتحسين ثورتي خلف صمتي واختناق الآمال خلف مراحي ؟
كل يوم سنلتقي مثل ظلين يطوفان عالم الارواح
لا حياة في نظر تينا ولا شوق لامر او مأمل في صباح
فورة الامس خمرة حين فاضت سكبت نفسها من الاقداح

بغداد — اكرم الوتري

أسر

سجين وسجني يضيق — اسير برأي طليق
أأبكي؟ وممَّ البكاء ؟ — واشكو واين الصديق ؟
نأيت وكيف الرجوع ؟ — وبي الف وهم يحيق
وهأنا وحدي غريب — بلا مؤنس او رفيق
غريق بيأس مميت — وقلبي بيأسي غريق
لجأنا هنا متعبين — وقلنا غداً نستفيق
فلما أتانا الصباح — وقمنا ، ضللنا الطريق
غريب وقلبي غريب — وبي الف وهم يحيق
فيا نفس كفي الانين — تحملت ما لا اطيق

الكويت — عبد الرزاق عبد الواحد

جولة الأديب في شهر

مهجريات افريقية

ادباء ... ولكنهم سعداء !

بقلم محمد يوسف مقلد

— . . . روحوا، انتبهو لاعمالكم، بلا ادب بلا بطيخ. الورق، لا يسقي مرق. ! هذه هي (النصيحة) التي يسمعها اخوان الشلة الادبية المعروفة في السنغال ، كلما بدرت منهم بوادر تدل على اهتمامهم بهذا الذي يشبه البطيخ . .ولا يسقي مرقاً ! !

انها لسخرية رائعة حقاً ، هذه التي يستعملها اصحاب الامية الفكرية في مخاطبة الأدباء ! فمن المعلوم ، ان « المرقة » هي اخس غذاء وارخصه ، والعمل الذي لا يدر على صاحبه حتى قيمة هذا الطعام الخسيس لا يستحق التعب ولا المبالاة به . . وهذا منتهى « البلاغة » في التعبير عن الاستهانة بالاديب ! !

هذه الظاهرة الغبية العجيبة في مجتمعنا ، يجب اخذها بروح الجد ، والوقوف عندها بغاية الاكتراث والتأمل احتراماً للفكر والروح ! وان التغاضي عنها مع استمرارها على مدى الزمن للفكر والروح ! يجب ردها الى مصدرها ، الى اصحابها ليحتفظوا بها لانفسهم ! يجب ان نسخر منهم كما يسخرون منا ! يجب ان نفهمهم لانهم لا يفهمون . ان نعم الروح والفكر هي نعم سماوية تقف عندها نعمهم الارضية ! يجب « تأديبهم ». وتصويرهم اهزل الصور ! هم معذورون لجهلهم، ولسنا معذورين لعلمنا . اليس من المؤسف ان يكون الاذكياء سخرة الاغبياء . . ؟ !

نحن لا نتمنى ان يصبح الناس كلهم ادباء . وانما نتمنى ان يزول الكفر بالقيم الروحية ، ويحل محله الايمان الخالص بجمال الفكر والعبقرية ، واليقين الصافي بان الادب من المنافع العظمى . وان الحبر على الورق الذ واغلى من « المرق ». !

ان الادباء غير زاهدين بـ « المادة » كما يظن اصحاب الامية الفكرية انهم على طلبها اقدر على الانتفاع بها من الماديين انفسهم . . ولكن الفرق انها في نظرهم ما كانت ، ولن تكون جوهر الوجود !

ان الادباء سعداء في حياتهم اكثر من جميع البشر لانهم قادرون على تذوق طعوم الحياة بجميع لذائذها المادية والروحية . انهم يغتبطون للربح الادبي والفكري ، كما يغتبطون بالصفقة الرابحة سواء بسواء . ان الطعام قوت، والادب قوت . وان الذين لا يستطيعون التقوت بغير ذواق واحد ، هم الاغبياء .

***

الواقع ان الاديب المفطور ، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الادب . . حتى ولو لم يكن منتجاً ، يظل قارئاً ومتحرياً ومتتبعاً . . والواقع انه « يخسر » كثيراً من منافعه المادية في اعتبارات الشؤون والمساعي ولكنها الخسارة « المفروضة » التي ليس له منها بد ولا مناص ارضاء لروحه وشعوره ! فالاديب المفطور كالعاشق ، « محتوم عليه » بحكم ميوله الفنية والجمالية ان « يضحي » مختاراً متطوعاً والى حد ما ، بعض الاعتبارات المكسبية « المفيده ».

رماني الدهر في السنغال ظناً ... باني تاجر . . حاشاي اني . .
ارى الدنيا بعيني بيت شعر ... معانيه لطيف بكل حسن
يقول لي اللحاة « غلطت جدا ! » ... وبوسك من خيالك والتغني . .
اطمنا ، واتجر ، فالبيع خير ... من القلم الذي لا نفع يجني . .
وكم قول ضربت به الزايا ... وتسآل وقرت عليه أذني
اطمت عواذلي ، وندبت طبعي ... الى ما لم أكنه ولم يكني . ! (1)

ان شلتنا الادبية في السنغال رغم « مادية » المحيط وعدم قابليته للنشاط الادبي لم تهجر الحياة الادبية فيما بينها . ورغم تفرقنا مركزياً نلتقي دائماً — بحكم اعمالنا — بدكر وكولك ،

(1) للكاتب من قصيدة.

فيه « الثالات » التي استسقيتها
فارجع، هداك الله، يا ابناً شاطرا
بيروت امك . ان نسيت حنانها
عودا الى حضن العروبة انه
يكفي المهاجر ما جنا من انجم
وبلابل خنق النضار نشيدها
لست الشقي ، انا الشقي لانني

يونس ابرص

وسقيتها خمر الشباب الريق
في ذمة الآباء لم يترفق
لا تنس غيرة ضرة في جلق
سجن يطيب لكل حر مطلق
حاق الضباب بها فلم تتألق
فتحيطها كفن من الاستبرق
ابقى . . . وتمضي، لا يجمعك من بقي!

جورج صيدح

ويحل الكتاب محل ثوب البضاعة . والسؤال عن الجديـد الادبي محل السؤال عن جديد السوق . ان وراء كل (كنتوار) لنـا (مكتبة) حافلة بشتى الصحف والكتب . وفي اجتماعاتنا الخاصة في النهار والسهرات نخوض في جميع المواضيع ، ونتبادل افـانين الفكر ، وآفاق الرأي حول ما قرأنا في الصحف، وسمعناه بالاذاعة. فنتجادل ، ونحلل ، وننكت ، ونعلق .

قلت « اجتماعاتنا الخاصة » وهي مقصودة قصداً ، ابتعاداً عمن لا يقدروننا ولا نقدرهم ، وحرصاً على (بضاعتنا) التي لا تروج بغير اسواقنا . اذكر – على سبيل المثال – اني اتيت من نيبورو ذات نهار الى كولك احمل قصيدة جديدة لاقرأها امام الاخوان. ولكن اتدري اين قرأناها ؟ ركبنا السيارة ، وخرجنا بعيداً عن المدينة – وراء الملاحة[1] وهناك قعدنا ، وقرأنا القصيدة .

وبعد ، فاليكم هذه المتفرقات الادبية ، فانها تعطيكم صورة عن حياتنا – اخوان الادب – في افريقيا :

اعتدنا – اخوان كولك – النزول حينما نهبط العاصمة (دكر) عند احدنا محمد مكي . لا حباً بتلك (الدخنيسة) التي يسكنها بل حبا بالحرية « التامة » التي نحصل عليها عنده، ولا نحصـل عليها عند سلمان امون او حسين خشن مثلاً . ثم حباً بـبـاريسياته اللواتي لا ينقطعن عن محله . ومحمد مكي ، او القزم كمـا كان يحلو لبعضنا ان يسميه ، شاب على جـانب من اللطف والنعومة ، وخاصة مع الشقراوات . . ولا عجب فهو شاعر .

دخلنا عليه مرة على فجأة ، فوجدناه قائماً يصلي . . وهو من نعرف . . ! فقال ابراهيم حاوي على الفور :

ومن العجائب ان بيت (. . .) صارت تقام بركنه الصلوات !

فقال نجيب صعب، وهو اخبثنا في التعليق : هذا البيت ينبغي ان يعلق لا فتة على الباب . !

وارسل نجيب صعب يوماً قصيدة جديدة لعفيف نصار ليطلعه عليها ويرى رأيه فيها . وكان اجمل بيت في القصيدة يتضمن كلمة نافرة وغير منسجمة مع شاعرية البيت . ولما وصل اليها عفيف قال له : ان وجود هذه الكلمة هنا ، كوجود اليهود في فلسطين . !

وعفيف نصار هذا اديب ذو مقدرة في التعليق على غاية من الطرافة : قرأ مرة ما كتبته « المعهد » عن مجلتنـا الادبية « الاماني »[1] التي كنا مزمعين على اصدارها يومئذ ، فعلق على الهامش ما يلي : اميركا اليوم بدأت بتنفيذ مشروع مرشال ، ففاوضوها بقرض لاصدار الاماني . .

في احدى سنوات الحرب انقطع السكر ، وتعذر على الناس شرب القهوة الا فيما ندر . وحدث ان ارسل ابراهيم حاوي هدية سكر لاحد اصدقائه بدكر مع رسالة فكاهية يطنب فيهـا بوصف هديته واهميتها ويبالغ . وقيل ان هدية السكر وضعت سهواً في كيس الملح، وقيل ان الصديق حاوي عملها قصداً وخلطها. ولما وصلت فرح بها مهداها فرحاً عظيما ، ودعا صديقه يونس يونس الى شرب القهوة . وكم كانت دهشتهما عظيمة عندما رشفا اول رشفة . ! وللحال كتبا رسالة الى مهدي السكر المالح . وصدرها يونس يونس بهذين البيتين :

تفلسفت في وصف الهدايا وحسنها — وجاوزت في تبيان افضالها المدحا
وحللتها ، حتى استحال مذاقها — اجاجا، وحتى صار سكرها ملحا؟!

ويونس هذا ، هو القائل – من قصيدة طيبة – يهجو بهـا احد المتشاعرين :

لم تاف من عمل لكي تلهو به — فغدوت من اجل البطالة شاعرا .

كثرت العملة الورقية كثرة متضخمة فقال احدنا بذلك[2] :

ابالك عملة كثرت عدادا — وقلت قيمة وجلال شان
فلو حملت حمل أتان منها — فليس يبالغ ثمن الأتان . !

زرت يوماً الصديق حنا الكوسا بسان لويس . فشاهدت في غرفة النوم صندوقاً كبيراً محكم الاقفـال . فظننته صندوق بضاعة (محرمة) وكان الزمان ايام حرب ، والبضاعة المحرمة اربح انواع السلع واروجها . والصديق حنـا معروف بالاتجار بها . ثم تبين بعد ذلك ان الصندوق يحتوي مكتبة قيمة، فسال لعابي عليها. ولما ذهبت ، تركت على المكتب الابيات التالية :

ارى خبزاً ، ولست ارى زحاما — عليه ! هل غششت لنا الطحينا ؟
فـما خبز العقول بذي رواج — وخير الخبز ما نفع البطونا .
ولكني لذلك ، لا لهذا — من المتسولين الجائعينا
اتشكو الفقر والبأساء مثلي — وبيتك يحتوي كنزاً ثمينا ؟؟
ومن دفن الكنوز وضن فيها — يعش – ما عاش – شر المعدمينا
وما قيم الذخائر غير بذل — ووضع بين ايدي العارفينا

---

(1) موضع معروف بكولك .

(1) يوجد منها مخطوطتان . واحدة لدى القنصلية اللبنانية بدكر ، كتبت سنة ١٩٤٧ في ٩٦ صفحة . ومخطوطة اخرى في ٣٦٠ صفحة لدى الكلية الجعفرية كتبت سنة ١٩٤٨ وقد ساهم بتحريرها جميع اخوان الادب العربي في افريقيا .

(2) للكاتب من قصيدة

فهب لي من « مخبأة » كتاباً   وحاذر ان تكون به ضنينا !

وفي اليوم التالي ، ارسل لي الالياذة مع الجواب التالي :

ومن خبز العقول جمعت كنزا   وقفت فتانه للجائعينا

عرضت صنوفه لوناً فلوناً   على اهل الثرا والمعدمينا

فآبوا بالهبات وبالعطايا   وحنا لم يكن يوما ضنينا

واذ برح الخفاء وجدت قسما   تولته ايادى العارفينا

وقسما في «بيوت الماء» هونا   تمزق بين ايدى العابثينا

فحين رأيت كنزي كاديفنى   وروح الاخذ فيهم لن تلينا

دفنت من الجواهر ما تبقى   وكان القبر صندوقاً متينا .

ومن ترك الكنوز لكل سلب   يقضي العمر معدوماً حزينا

ولم عرض الكنوز ، وقد تساوى   هنا اهل الحجى والجاهلينا ؟!

فان بعث الدفين نهار امس   سيبقى الذي بعث الدفينا .

كنا يوماً بدكر . وفيما نحن نجول في احياء المدينة استرعى انتباهنا بناية جميلة باربعة طوابق . ولج بنا الفضول ، فسألنا عن صاحبها ، واذا هو من نعرف . ! انه احد اغنياء الحرب . . ترى لماذا اختارت الاقدار هذا الفسل واجلسته على صدر هذه النعمى ؟ حتى اصبح يلعب بالملايين كما نلعب نحن بورق اللعب . ؟ وما مشينا خطوات حتى نظم احدنا الابيات الثلاثة الآتية التي تداولتها الايدي بسرعة ، واحدثت في نفوس الاغنياء ما احدثت . اذ ظنها كل غني انها قيلت فيه . وهذه هي :

أمن العدل ان نرى كل غر   شادقصرا ، وما لنا كوخ زنجي

هزل الدهر ، فاغتنى رقماء   واغتدى سيدا بنا كل علج . !

(حكمة) تضرم الحفيظة غيظا   قدر يولم الفؤاد ويشجي . !

زوج (فلان) ابو علي ابنته . وابو علي هذا رجل قروي فلاح ومن الجيل القديم : بيد انه بارز بين الناس بصفتين : الشح الشديد ، وسوء المعيشة في بيته رغم انه من (الزناكيل) . والابيات الهجائية التالية نظمت به . ولكن احداً منا لا يدعيها حتى ابراهيم حاوي الذي له بها اصبع . ولكني بالاتفاق مع نجيب صعب ويونس ، قلنا انه هو ناظمها كلها لنور طه . لا سيا وان الصديق حاوي له في الهجاء اليد الطولى . الم يهج الدكتور (م) ، ثم هجانا نحن اصدقاءه اقذع هجاء . ؟ ولكن هذا (الحطيئة) رغم انه (مقدام) في هجاء الناس ، جبان منتهى الجبن . فان اقل حادث حكومي او غيره كاف لطرحه في الفراش . اوقوله — يوم دعي مرة الى الكوميسيرية — اكبر شاهد على ذلك :

. . ولقد تزايد عندها خوفي   حتى بليث بعلة الجوف . !

ولطالما لفقنا (الروايات) للتمتع بمخاوفه ومشاهدة (التدابير) التي يلجأ اليها . وها هي الابيات المنسوبة الى حطيئتنا :

زوجت بنتك يا (فلان) ابو علي   فاضحك مليا طاب دهرك ، واسعل !

بجنيك (بالطقم) الذي البسته   من مهرك المتكرم المتفضل

لولاه لم تلبس جديدا مونقا   ولدمت بالثوب الذي لم يغسل . !

اخلع ثياباً عاصرت عهد الصبا   وودعت قديمك في الزمان الارذل

كل طيباً ، لم تحو قدرك مرة   قبل العريس سوى خبيث المأكل

تالله ما فوق البسيطة مبتلي   الاقرينتك التي لا تأتلي . .

واخيراً ، لا آخراً . . هذه السانحة : استدنت مرة (بالة) بضاعة من احد تجارنا الكبار . وهو رجل طريف الروح ، ذواق للادب على احسن ما يرام ، على غير العهد بتجارنا . وحدث ان ابطأت عليه بثمن (البالة) . فكتب لي رسالة مختصرة تنم عن ذوق رفيع في الاداء والتلميح ، واستشهد بهذا البيت المشهور :

قضى كل ذي دين فوفى ديونه   وعزة ممطول معنى غريمها . .

فكتبت له : سيدي الممطول المعنى . . (كثير) . ! : رسالتك امتازت بثلاثة محاسن : مختصرة ، شأن كتابة كل تاجر كبير «ثمين» الوقت . . ومهذبة في المطالبة شأن الدائن الكريم ، وظريفة الروح كأنما نمقها قلم اديب ! حتى لقد اوشكت — لفرط اعجابي — ان امتدحك ، لولا خشية ان تظن اني طامع بك . فانت رجل مريض ، ولا مطمع فيك لاحد . . ولكنك — والله ! — لو لم تكن تاجراً لكنت اديباً ، لقد تصورتك ، لتمثلك بذلك البيت ، كيف تقضي الليالي بحسبان ، مما يوحي انك تنام على مثل حسك السعدان . ! ان (البالة) قد بعتها ، ووفيت ثمنها دائناً لا حول له ولا قوة ، اعتماداً على حولك وقوتك . فامهلني الى الموسم !

وجاء الموسم ، ومضى شهر ، ولم ارسل له الدينة . . فارسل لي هذا البيت الوحيد :

وهذي شهور الصيف عنا قد انقضت   فما للنوى ترمي بليلي المراميا !؟

وعلى الفور ، ارسلت له الدينة مع الابيات التالية :

الا ايها (الصب) الذي ليس سالياً   سروري وعجبي في ذكاك تلاقيا !

تقول لوى ديني ، فأف لشأنه   وليس مطالا ما نرى ، بل تداويا

فما ابطأت كفي ، ولا اثاقلت يدي   ولكن دهري مبطىء في مراميا !

وهاك وفاة الدين نقدا ، وانني   وفيتك نقدا حاضرا ، وقوافيا .

***

اما بعد ، فعسى ان يجد الذين كفروا بجمال الحياة الادبية في هذا المقال ما يرفه عن نفوسهم المتعبة . كما ارجو ان يكون (شوكة) في عيون الذين يتساوى عندهم الادب والبطيخ . !

اننا نتاجر ، ولا نعق الادب ، ونتعاطى الادب ، ولا نبخس التجارة ، « وكل في فلك يسبحون » . ! .

كوكك — الدغال   **محمد يوسف مقلد**



٢٨ تموز – صرح ناظر الخارجية الاميركية بانه يجب على الولايات المتحدة أن تبدأ بدون تأخير بتسليح اوربا الغربية ، لانه لا يمكن تجاهل احتمالات عدوان عسكري مباشر من قبل قوات سوفياتية قوية .

٢٩ – صادق مجلس الشيوخ الفرنسي على معاهدة ميثاق شمالي الاطلنطي .

– اعلنت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية ان الدول العربية الاربع واسرائيل قد وافقت على التعاون معها لقيام حالة سلم دائم في فلسطين على اساس حل عادل .

٣٠ – صرح الجنرال عمر برادلي رئيس اركان القوات الاميركية : اذا وقعت منطقة الاطلسي في حرب فان اميركا ستستعمل القنابل الذرية في ضرب المواقع الستراتيجية .

٣١ – يزداد الزحف الشيوعي خطورة باتجاه الصين الجنوبية وبدأت الحكومة الوطنية تفكر بالنزوح عن كانتون الى جزيرة فرموزا .

اول آب – غادر الاسطول الاميركي اسطنبول وسيتجول في المتوسط ويقوم بتمارين ومناورات في بحر ايجه .

٢ – اعلنت الادارة المشتركة للقوى الاميركية ان هذه القوى المرابطة في المانيا يمكن ان تصبح جزءا من المنظمة الدفاعية لغرب اوروبا بموجب وثيقة الحلف الاطلسي .

٣ – اوصى الدكتور بانش الوسيط الدولي ، مجلس الامن بوجوب رفع الحظر عن ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط .

٤ – اعلن مقر الجيش الكوري العام ان قتالا عنيفاً جدا يدور رحاه بين قوات كوريا الشمالية الشيوعية وجيوش كوريا الجنوبية في ثلاثة مراكز على الحدود .

٥ – صرح المارشال تيتو ان الجيش اليوغوسلافي مستعد لمقاتلة اية دولة تغزو يوغوسلافيا حتى اذا كانت تلك الدولة روسيا .

– بينا كانت هيئة قواد الغرب مجتمعة بباريس ، قامت مظاهرات شيوعية تهتف ضد الحرب وحدث بعض اصطدامات .

٧ – فرغ القواد الاميركيون من مباحثاتهم مع قواد دول اوربا واعلنوا ان مهمتهم كللت بالنجاح وقد طالبت فرنسا بان تتعهد الولايات المتحدة بعدم التخلي عن اوربا في حالة نشوب حرب .

٨ – احرزت قوات الحكومة اليونانية انتصارات جديدة في عملياتها الحربية ضد الثوار على الحدود اليونانية الالبانية .

٩ – صرح رئيس الجمهورية السورية انه يسعى لاقامة ميثاق في الشرق الاوسط على غرار ميثاق الحلف الاطلسي يكون بمثابة خط دفاعي ثان وراء تركيا .

١٠ – صرح الجنرال برادلي لدى عودته الى وشنطن ان المباحثات مع قواد دول حلف الاتلنتيك لم تنته الى نتيجة ايجابية .

١١ – قرر مجلس الامن رفع الحظر عن ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط ، واعفاء الدكتور رالف بانش الوسيط من مهمته وابقاء عدد قليل من المراقبين الدوليين للاشراف على تنفيذ اتفاقات الهدنة الدائمة بين العرب واليهود .

١٢ – ارسلت حكومة الاتحاد السوفيتي مذكرة الى يوغسلافيا تعلن فيها انها تعتبرها عدوة وخصماً لها .

١٤ – قامت حركة عسكرية انقلابية بدمشق بقيادة الزعيم سامي الحناوي . وقد القي القبض على المشير حسني الزعيم رئيس الجمهورية والدكتور محسن البرازي رئيس الوزراء واعدما تنفيذاً لحكم المحكمة العسكرية . وقد اعلن قائد الانقلاب انه حرر سوريا من الطاغية وانه سيسلم مقاليد الحكم لرجال السياسة .

١٥ – الف رئيس الجمهورية السورية السابق هاشم الاتاسي الحكومة المؤقتة بدمشق وتعاونت معه جميع الاحزاب والعناصر الوطنية .

– اذاعت الحكومة السورية بياناً الى الشعب تعلن فيه انها حكومة مؤقتة ستدعو لانتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد للبلاد السورية في جو من الحرية .

١٦ – استدعى الاتحاد السوفيتي سفيره من بلغراد .

١٧ – اختتم المجلس الاوروبي مناقشاته العامة وخطب رئيس الوفد البريطاني حاثاً اوروبا على الوحدة . وقال تشرشل لا تقوم وحدة اوروبا دون انضمام المانيا اليها .

١٨ – سلمت الولايات المتحدة مدمرتين الى الاسطول التركي وفق برنامج المساعدة الاميركية .

١٩ – امرت الحكومة الاميركية الجنرال ماك ارثر ان يعمل لمساعدة اليابان على انشاء علاقات مباشرة بينها وبين الدول الكبرى .

٢٠ – ما يزال الملك عبدالله في زيارته للندن ، ومعه عدا حاشيته بعض الوزراء الاردنيين . وكذلك نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية الذي يقوم بمحادثات مع وزير الخارجية الانكليزية .

٢١ – ابلغت الحكومة السوفيانية يوغسلافيا بمذكرة ، انها قد تضطر لاتخاذ خطوات اكثر تأثيراً لحماية حقوق الرعايا اليوغسلافيين الذين يضطهدون بيوغسلافيا .

٢٢ – وصل الى اوستراليا ثلاثة من اركان حرب القوات النيوزيلندية لاجراء محادثات عسكرية حول شؤون الدفاع عن جنوبي غربي المحيط الهادي ووضع مشاريع لتوثيق التعاون الحربي بين اوستراليا ونيوزيلندا .

٢٣ – امرت الحكومة التركية الجنرال كاظم اورباي رئيس البعثة العسكرية الى سوريا بان يعود الى انقرة ، وكان قد توجه الى سوريا بدعوة من حسني الزعيم لوضع تقرير عسكري عن سوريا . وكانت الحكومة السورية الجديدة قد طلبت من تركيا استمرار الجنرال بمهمته . ويعتبر استدعاؤه رفضاً لطلب الحكومة .

٢٤ – عقد ٣٠٠ من زعماء الطرابلسيين اجتماعاً كبيراً في مدينة مصراطة على الساحل الليبي لبحث اعلان استقلال طرابلس الغرب وضمها الى برقة في نطاق الوحدة الليبية .

– تدعو حالة المرشال غرازياني الصحية الى القلق الشديد على اثر اصابته بنوبة كبد خطرة . وكان من المقرر بدء محاكمته في شهر تشرين الاول القادم .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٣ – ٦٨